فهرست

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله {وبعد} فأنت تعلم يا أخي أن المرء يصلحه القرين الصالح وان الكتاب لقارئه كالقرين لقرينه

وها أنا أُقدّم لك «رسالة الحيوان والانسان» خاتمة «رسائل اخوان الصفاء» المشهورة وزبدتها. وهي وان كان ظاهرها الخرافة والفكاهة في لفظ عذب طليّ، الا ان باطنها الحكمة والموعظة الحسنة في معنى دقيق خفيّ: وإني أرجو أن لا يشغلك ظاهرها عن باطنها بقدر ما أودّ ان تكون ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه

محمد علي كامل

﴿ فى تداعى الحيوانات على الانسان ﴾

اعلم انه لما توالدت اولاد آدم وكثرت . انتشرت فى الارض براً وبحراً سهلا وجبلاً . متصرفين فيها آمنين . بعد ما كانوا قليلين خائفين مستوحشين من كثرة السباع والوحوش فى الارض . وكانوا يأوون فى رؤوس الجبال والتلال متحصنين بها فى المغارات والكهوف . وكانوا يأكلون من ثمر الاشجار وبقول الارض وحبوب النبات . وكانوا يستترون باوراق الشجر من الحر والبرد ويشتون فى البلاد الدفئة ويصيفون فى البلدان الباردة . ثم بنوا فى سهول الارض المدن والقرى وسكنوها . ثم سخَّروا من الانعام البقر والغنم والجمال ومن البهائم الخيل والبغال والحمير وقيدوها وألجموها وصرفوها فى مآربهم من الركوب والحمل والحرث والدياس . واتعبوها فى استخدامها وكلفوها اكثر من طاقتها ومنعوها من التصرف فى مآربها بعد ما كانت مخلاَّة فى البرارى والآجام تذهب حيث أرادت فى طلب مرعاها ومشاربها ومصالحها فنفرت منهم بقيتها مثل حمير الوحش والغزلان

والسباع والوحوش والطيور بعـد ما كانت مستأنسة متألفة مطمئنـة فى اوطانها واماكنها وهربت من ديار بنى آدم الى البرارى البعيدة والآجام الدحال . وتشمر بنو آدم فى طلبها بانواع من الحيل والقنص والشباك والفخاخ واعتقد بنو آدم فيها أنها عبيد لهم هربت وطغت .

ثم مضت السنون والاعوام على ذلك الى أن بُعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعا الإنس والجن الى الله تعـالى والى دين الاسلام فاجابتـه طائفة من الجن وحسن اسلامها ومضت على ذلك مدة من الزمان ثم انه وُلِّيِ على بنى الجن ملك منهم يقال له (بيوراسب) الحكيم لقبه شاه مردان وكان دار مملكته فى جزيرة يقال لها (بلاصاغون) فى وسط البحر الاخضر ممـا يلى خط الاستواء وهى طيبة الهواء والتربة فيها انهار عذبة وعيون فوارة وهى كثيرة الريف والمرافق وفنون الاشجار والوان الثمار والرياض والازهار والرياحين والانوار .

فطرحت الرياح العاصفة فى وقت من الزمان مركباً من سفن البحر الى ساحل تلك الجزيرة وكان فيها قوم من التجار والصناع واهل العـلم وسائر ابناء الناس فخرجوا الى تلك الجزيرة وطافوا فيها فوجدوها كثيرة الاشجار والفواكه والثمار والمياه العذبة والهواء الطيب والتربة الحسنـة والبقول والرياحين والوان الزروع والحبوب مما انبتها أمطار السماء ورأوا فيها اصناف الحيوانات من البهائم والانعام والطيور والسباع وهى كلها متألفة بعضها مع بعض مستأنسة غير متنافرة .

ثم ان أولئك القوم استطابوا ذلك المكان واستوطنوه وبنوا هنالك

البنيان وسكنوها ثم اخذوا يتعرضون لتلك البهائم والانعام التى هناك يسخرونها يركبونها ويحملون عليها اثقالهم على الرسم الذى كانوا يفعلون فى بلدانهم . فنفرت منهم تلك البهائم والانعام هناك وهربت وتشمروا فى طلبها بانواع من الحيل فى اخذها واعتقدوا فيها أنها عبيد لهم فهربت وخلعت الطاعة وعصت .

فلما علمت تلك البهائم والانعام هذا الاعتقاد منهم اجتمعت زعماؤها وخطباؤها وذهبوا الى (بيوراسب الحكيم) ملك الجن فبعث رسولاً الى أولئك القوم ودعاهم الى حضرته فذهبت طائفة من أهل ذلك المركب الى هناك وكانوا نحواً من سبعين رجلا من بلدان شتى . فلما بلغه قدومهم أمر لهم بالانزال والاكرام ثم أوصلهم الى مجاسه بعد ثلاثة أيام . وكان (بيوراسب) ملكاً حكيماً عادلاً كريماً منصفاً سمحاً يقري الاضياف ويأوى الغرباء ويرحم المبتلي ويمنع الظلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يبتغي بذلك الا وجه الله ومرضاته .

فلما وصلوا اليه ورأوه على سرير الملك حيّوهُ بالتحية والسلام . فقال لهم الملك على لسان الترجمان : ما الذى جاء بكم الى بلادنا وما دعاكم الى جزيرتنا من غير مراسلة قبل ذلك؟ — قال قائل منهم : دعانا ما سمعنا من فضائل الملك ومناقبه الحسان ومكارم اخلاقه وعدله وانصافه فى الاحكام . فجئناه ليسمع كلامنا ونبين حجتنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين وخدمنا المنكرين ولايتنا والله يوفق للصواب ويسدد للرشاد . فقال الملك : قولوا ما تريدون وبينوا ما تقولون . قال زعيم الانس : نعم أيها الملك ان هذه

البهائم والانعام والسباع والوحوش والحيوانات أجمع عبيدنا ونحن أربابها فمنها هارب عاص ومنها مطيع كاره منكر للعبودية . فقال الملك للانسى : ما الدليل وما الحجة على ما زعمت وادعيت؟ — قال الانسى : نعم ايها الملك لنا دلائل شرعية سمعية على ماقلت وحجج عقلية . فقال هات . فقام خطيب من الانس من اولاد العباس رضوان الله عليه فصعد المنبر فقال :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الاَّ على الظالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وامام المرسلين صاحب الشفاعة يوم الدين وصلوات الله على الملائكة المقربين وعلى عباده الصالحين واهل السموات والارضين من المؤمنين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته وهو ارحم الراحمين . والحمد لله الذى خلق من الماء بشراً وخلق منه زوجته وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واكرم ذريتهما وحملهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات . قال الله عز وجل : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تسرحون . » وقال عز وجل : «وعليها وعلى الفلك تحملون.» وقال : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة . » وقال : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه . » وآيات كثيرة فى القرآن وفى التوراة والانجيل تدل على انها خلقت لنا ومن اجلنا وهى عبيد لنا ونحن اربابها واستغفر الله لى ولكم .

قال الملك : قد سمعتم معشر البهائم والانعام ما ذكر الانسى من آيات القرآن واستدل بها على دعواه ، فأى شيء عندكم فيما قال ؟ — فقام عند ذلك زعيمها وهو البغل فقال :

الحمد لله الواحد الأحد . الفرد الصمد القديم السرمدى . الذى كان قبل الاكوان بلا زمان ولا مكان . ثم قال كن فكان نوراً ساطعاً أظهره من مكنون غيبه ثم خلق من النور ناراً اجّاجاً وبحراً من الماء رجراجاً ذا امواج . ثم خلق من الماء والنار افلاكاً ذات ابراج وكواكب وسراجاً وهاجاً . والسماء بناها . والارض طحاها . والجبال ارساها . وجعل اطباق السموات مسكن العلّيين . وفسحة الافلاك مسكن الملائكة المقربين . والارض وضعها للأنام وهى النبات والحيوان . وخلق الجان من نار السموم . وخلق الانس من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فى قرار مكين . وجعل ذريته فى الارض يخلفون ليعمروها ولا يخربوها . ويحفظوا الحيوان وينتفعوا بها ولا يظلموها ولا يجوروا عليها . واستغفر الله لى ولكم . ثم قال : ليس فى شىء مما ذكر هذا الانسى من الآيات أيها الملك دلالة تدل على ما زعم انهم ارباب ونحن عبيد انما هى آيات تدل على انعام الله عليهم واحسانه اليهم فقال سخّرها لكم كما سخر الشمس والقمر والرياح والسحاب . أفترى أيها الملك انها عبيد لهم ومماليك وانهم أربابها ؟ اعلم ايها الملك ان الله جل ثناؤه خلق الخلائق كلها فى السموات والارضين وجعلها مسخرة بعضها لبعض اما لجر منفعة اليها أو لدفع مضرة عنها . فتسخير الله عز وجل الحيوان للانس انما هو لايصال المنفعة اليهم ولدفع المضرّة عنهم كما سنبين بعد هذا الفصل لا كما ظنوا وتوهموا وقالوا من الزور والبهتان بأنهم اربابنا ونحن عبيدهم .

ثم قال زعيم البهائم : كنا ايها الملك نحن وآباؤنا سكان الارض قبل

خلق آدم أبى البشر قاطنين فى ارجائها ظاعنين فى فجاجها تذهب وتجىء طائفة منا فى بلاد الله فى طلب معاشنا ونتصرف فى اصلاح امورنا . كل واحد منا مقبل على شأنه فى مكانه موافق لمآربه فى برية أو اجمة او سهل أو جبل . كل جنس منا مؤالف لابناء جنسه . مشتغلين باتخاذ نتائجنا وتربية اولادنا فى طيب من العيش بما قدر الله لنا من المآكل والمشارب . آمنين فى اوطاننا معافين فى ابداننا . نسبّح لله ونقدسه ليلاً ونهاراً لا نعصيه ولا نشرك به شيئاً . ومضى على ذلك الدهور والازمان ثم ان الله تعالى خلق آدم ابا البشر فجعله خليفة فى الارض وتوالدت اولاده وكثرت ذريته وانتشرت فى الارض براً وبحراً سهلاً وجبلاً وضيقوا علينا الاماكن والاوطان واخذوا منا اسرى من الغنم والبقر والخيل والبغال والحمير وسخروها واستخدموها واتعبوها بالكد والعناء والاعمال الشاقة من الحمل والركوب والشد فى الفدان والدواليب والطواحين بالقهر والغلبة والضرب والهوان والوان من العذاب طول اعمارنا . فهرب منا من هرب فى البرارى والقفار ورؤوس الجبال وتشمر بنو آدم فى طلبنا بأنواع من الحيل فمن وقع فى ايديهم منا فالغل والقيد والقفص . ثم الذبح والسلخ وشق الاجواف وقطع المفاصل وكسر العظام ونزع العيون ونتف الريش وجز الشعور والوبر . ثم نار الطبخ والسفّود والتشوية والوان من العذاب ما لا يبلغ الوصف كنهها . ومع هذه الالوان كلها لا يرضون منا هؤلاء الآدميون حتى ادعوا علينا ان هذا حق واجب لهم وانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم فمن هرب منا فهو آبق عاص تارك للطاعة : كل هذا بلا

حجة لهم علينا ولا بينة ولا برهان الا القهر والغلبة .

فلما سمع الملك هذا الكلام وفهم هذا الخطاب امر منادياً فنادى في مملكته ودعا الجنود والاعوان من قبائل الجن والقضاة والعدول والفقهاء وقعد لفصل القضايا بين زعماء الحيوانات والجَذابين من الانس . ثم قال لزعماء الانس : ما تقولون فيما يحكي هذه الانعام والبهائم من الجور ويشكون من الظلم والتعدى منكم ؟ . قال زعيم الانس : ان هؤلاء عبيدنا ونحن مواليها وانما ان نتحكم عليها تحكم الارباب . فمن اطاعنا فقد اطاع الله ومن عصانا عصى الله . — قال الملك للانسى : ان الدعاوى لا تصح عند الحكام الا بالبينات ولا تقبل الا بالحجج . فما حجتك فيما قلت وادعيت ؟ — قال الانسى : ان لنا حججاً عقلية ودلائل فلسفية تدل على صحة ما قلنا . — قال الملك : ما هي بيِّنْها — قال نعم هي حسن صورتنا وتقويم بنية هيكلنا وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا ودقة تمييزنا وذكاء نفوسنا ورجحان عقولنا : كل هذا دليل على انا ارباب وهم عبيد انا .

قال الملك لزعيم البهائم : ما تقول فيما ذكر ، — قال : ليس شيء مما قال دليلاً على ما ادعى هذا الانسى . — قال الملك : أليس انتصاب القيام واستواء الجلوس من شيم الملوك . وانحناء الأصلاب والانكباب على الوجوه من صفات العبيد ، — قال الزعيم : وفقك الله ايها الملك للصواب . اسمع ما أقول واعلم بان الله تعالى لم يخلقهم على تلك الصورة ولا سوَّاهم على تلك البنية لتكون دلالة على انهم ارباب . ولا خلقنا على هذه الصورة لتكون دلالة على انا عبيد . ولكن لعلمه واقتضاء حكمته بان تلك الصورة

اصلح لهم وهذه اصلح لنا :

بيان ذلك ان الله تعالى لما خلق آدم واولاده عراة حفاة بلا ريش على ابدانهم ولا وبر ولا صوف على جلودهم تقيهم من الحر والبرد وجعل ارزاقهم من ثمر الاشجار ودثارهم من اوراقها وكانت الاشجار منتصبة مرتفعة فى جو الهواء جعل ايضاً قامتهم منتصبة ليسهل عليهم تناول الثمر والورق منها . هكذا لما جعل غذاء اجسامنا من حشائش الارض جعل بنية ابداننا منحنية ليسهل علينا تناول العشب من الارض . فلهذه العلة جعل صورتهم منتصبة وصورتنا منحنية لا كما توهموا — قال الملك : فما تقول فى قول الله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم » ؟ — قال الزعيم : ان للكتب السماوية تأويلات وتفسيرات غير ما يدل عليه ظاهر الفاظها يعرفها الراسخون فى العلم . فليسأل الملك عنها أهل الذكر والعلم — قال الملك لحكيم الجن : ما معنى « احسن تقويم » — قال : اليوم الذى خلق الله تعالى آدم فيه كانت الكواكب فى اشرافها واوتاد البيوت قائمة والزمان معتدلا والمواد كانت متهيئة لقبول الصور فجاءت بنيته فى احسن صورة واكمل هيئة . — قال الملك : فكفى بهذا فضيلة وكرامة وافتخاراً — ثم قال حكيم الجن : ان لحسن التقويم معنى غير ما ذكر وبيّن ذلك قوله تعالى : « الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك » . يعنى لم يجعلك طويلاً دقيقاً ولا صغيراً قصيراً بل ما بين ذلك .

قال زعيم البهائم : ونحن كذلك فعل بنا ايضاً لم يجعلنا طوالاً دقاقاً ولا صغاراً قصاراً بل ما بين ذلك فنحن وهم فى هذه الفضيلة بالسوية —

قال الانسى لزعيم البهائم : من اين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة وقد نرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الاذنين قصير الذنب . ونرى الفيل عظيم الخلقة طويل النابين واسع الاذنين صغير العينين . ونرى البقر والجاموس طويل الذنب غليظ القرون ليس له اسنان من فوق . ونرى الكبش عظيم القرنين كبير الالية ليس له لحية . ونرى التيس طويل اللحية ليس له الية بل مكشوف العورة . ونرى الارنب صغير الجثة كبير الاذنين وعلى هذا المثال نجد اكثر الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والهوام مضطربَ البنية غير متناسب الاعضاء ؟ — فقال له زعيم البهائم : هيهات ذهب عليك ايها الانسى احسنها وخفى عليك احكمها . اما علمت انك اذا عبت المصنوع فقد عبت الصانع ؟ اولا تعلم ان هذه كلها مصنوعات البارى الحكيم الذى خلقها بحكمته لعلل واسباب واعراض تجر المنافع اليها وتدفع المضار عنها ولا يعلم ذلك الا هو والراسخون فى العلم ؟

قال الانسى : نخبرنا ايها الزعيم ان كنت حكيم البهائم وخطيبها ما العلة فى طول رقبة الجمل ؟ قال ليكون مناسباً لطول قوائمه لينال الحشيش من الارض ويستعين بها فى النهوض بحمله وليبلغ مشفره الى سائر اطراف بدنه فيحكها . واما خرطوم الفيل فعوض عن طول الرقبة ، وكبر أذنيه ليذب بهما البق والذباب عن مآقى عينيه وفمه اذ كان فمه مفتوحاً ابداً لا يمكنه ضم شفتيه لخروج اسنانه منه . وانيابهُ سلاح له يمنع بها السباع عن نفسه . واما كبر أذن الارنب فهو من اجل ان يكون دثاراً لها ووطاء فى الشتاء والصيف لانه رقيق الجلد ترف البدن . وعلى هذا القياس نجد كل

حيوان جعل الله له من الاعضاء والمفاصل والادوات بحسب حاجته اليه لجر منفعة او لدفع مضرة . والى هذا المعنى اشار موسى عليه السلام بقوله : « ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى »

واما الذى ذكرت ايها الانسى من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس فيها شيء من الدلالة على ما زعمت بانكم ارباب ونحن عبيد اذ كان حسن الصورة انما هو شيء مرغوب فيه عند ابناء الجنس من الذكران والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع والسفاد والنتاج والتناسل لبقاء الجنس . وحسن الصورة فى كل جنس غير الذى يكون فى جنس آخر . ولهذا ذكراننا لا ترغب فى محاسن اناثكم ولا اناثنا فى محاسن ذكرانكم كما لا يرغب السود فى محاسن البيض ولا البيض فى محاسن السود : فلا فخر لكم علينا فى محاسن الصورة ايها الانسى .

فى بيان جودة الحواس للحيوان

واما الذى ذكرته من جودة حواسكم ودقة تمييزكم وافتخرت علينا فليس ذلك لكم خاصة دون غيركم من الحيوانات لان فيها ما هو اجود حاسة منكم وأدق تمييزاً :

فمن ذلك الجمل فانه مع طول قوائمه ورقبته وارتفاع رأسه من الارض فى الهواء يبصر موضع قدميه فى الطرقات الوعرة والمسالك

الصعبة فى ظلم الليل ما لا تبصرون ولا يرى أحد منكم الا بسراج او مشعل او شمع . ويرى الفرس ويسمع وطأ الماشى من البعد فى ظلمة الليل حتى انه ربما نبه صاحبه من نومه بركضه برجله حذراً عليه من عدو او سبع . وهكذا نجد كثيراً من الحمير والبقر اذا سلك بها صاحبها طريقاً لم يسلكها قبل ثم خلاها رجعت الى مكانها ومعلفها وموضعها المألوف . وقد وجد من الناس من قد سلك طريقاً ما دفعات ثم يضل فيه ويتيه . ونجد من الغنم والشاة ما يلد منها فى ليلة واحدة عدداً كثيراً وتسرح من الغد للرعى وتروح بالعشى ويخلّى من الوثاق مائة من اولادها او اكثر فيذهب كل واحد منها الى امه ولا يشكل عليها امهاتها ولا يشتبه اولادها على امهاتها . والانسى ربما مضى به الشهر والشهران او اكثر وهو لا يعرف والدته من اخته ولا والده من اخيه . فأين جودة الحواس ودقة التمييز التى ذكرت وافتخرت به علينا ايها الانسى ؟

واما الذى ذكرت من رجحان العقول فلسنا نرى له اثراً ولا علامة . لانه لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشىء ليس هو من افعالكم ولا باكتساب منكم بل هى مواهب من الله تعالى لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه : وانما العقلاء يفتخرون باشياء هى افعالهم من الصنائع المحكمة والآراء الصحيحة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرائق المستقيمة . ولسنا نراكم تفتخرون علينا بشيء غير دعاوى بلا حجة وخصومة بلا بينة

في بيان شكاية الحيوان وجور الانسان

فقال الملك للانسي : قد سمعت الجواب فهل عندك شيء غير ما ذكرت ؟ فقال نعم ايها الملك مسائل أُخَر دليل على اننا أربابهم وانهم عبيد لنا:

فمن ذلك بيعنا وشراؤنا لها واطعامنا وسقينا لها . وانا نكسوها ونكنُّها من الحر والبرد ونمنع عنها السباع ان تفرسها . ونداويها اذا مرضت ونشفق عليها اذا اعتلت . ونعلمها اذا جهلت ونعرض عنها اذا جنت : كل ذلك نفعله اشفاقاً عليها ورحمة لها وكل هذا من افعال الارباب بالعبيد والموالى بالمماليك .

قال الملك لزعيم البهائم : قد سمعت ماذكر فأى شيء عندك فأجب . —

قال الزعيم : اما قوله انّا نبيعها ونشتريها فهكذا يفعل ابناء فارس بابناء الروم وابناء الروم بابناء فارس اذا ظفر بعضهم ببعض . أفترى ايهم العبيد وايهم الموالى ؟ وهكذا يفعل ابناء الهند بابناء السند وابناء السند بابناء الهند . وهكذا يفعل ابناء الحبشة بابناء النوبة وابناء النوبة بابناء الحبشة . وهكذا يفعل الاعراب والاكراد والاتراك بعضهم ببعض فايهم ليت شعرى العبيد وايهم الارباب بالحقيقة ؟ وهل هى ايها الملك العادل الا دول ونوب تدور بين الناس بموجبات احكام النجوم والقرانات كما ذكر الله تعالى فقال : « وتلك الأيام نداولها بين الناس وما يعقلها الا العالمون . » واما الذى ذكر بانا نطعمها ونسقيها وما ذكره من سائر ما يفعلون بنا فليس ذلك شفقة منهم

علينا ولا رحمة بل مخافة ان نهلك فيخسرون اثماننا ويفوتهم منافعهم بنا من شرب ألباننا والتدثر باصوافنا واوبارنا واشعارنا وركوبهم ظهورنا وحملنا اثقالهم لا للشفقة والرحمة كما ذكر .

ثم تكلم الحمار وقال : ايها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى فى ايديهم موقَّرة ظهورنا بأثقالهم من الحديد والحجارة وغير ذلك ونحن نحملها بجهد وكد وبأيديهم الخشب يضربون وجوهنا وادبارنا بخنق وعنف لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا ايها الملك الرحيم . فاين الرحمة والشفقة منهم ؟

ثم تكلم الثور وقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى فى ايديهم مقرنين فى معاصرهم مشدودين فى دواليبهم وارحيتهم مغطاة وجوهنا مشدودة اعيننا وبايديهم العصا والمقارع وهم يضربون وجوهنا وادبارنا لرحمتنا . فاين الرحمة منهم ؟

ثم تكلم الكبش فقال : لو رأيتنا أيها الملك ونحن اسارى فى ايديهم وهم آخذون صغار اولادنا من الجداء والحملان فيفرقون بينها وبين أمهاتها يستأثرون بالباننا ويجعلون اولادنا مشدودة ايديها وارجلها الى المذابح والمسالخ جائعة عطشانة تصيح ولا ترحم وتصرخ ولا تغاث ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشققة اجوافها مفرقة عظامها ورؤوسها ومضاربها واكبادها فى دكاكين القصابين مقطعة بالسواطير مطبوخة فى القدور مسفدة فى التنور ونحن سكوت لا نشكو ولا نبكى ولو بكينا ما رحمونا . فاين الرحمة منهم ؟

ثم تكلم الجمل فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى فى ايدى

بنى آدم مخزومة أنوفنا بايدى جمالهم خطامنا يجروننا على كره منا محملة ظهورنا بأثقالهم نمشى فى ظلم الليالى نصدم الصخور والدكادك باخفافنا ويقرح جنوبنا وظهورنا من احتكاك اقتابنا ونحن جياع عطاش لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا ايها الملك . فاين الرحمة منهم ؟

ثم تكلم الفيل فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن أسارى فى ايدى بنى آدم والقيود فى ارجلنا والقلوس فى رقابنا وكلاليب الحديد فى ايديهم يضربوننا بها ويدمغوننا يمنة ويسرة على كره منا مع كبر جثتنا لرحمتنا ولبكيت علينا ايها الملك . فاين الرحمة والرأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسى ؟

ثم تكلم الفرس فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن أسارى فى ايدى بنى آدم واللجم فى افواهنا والسروج على ظهورنا والطنوج على اوساطنا والفرسان المدرعة على ظهورنا فى المعارك ونقحم فى الغبار جياعاً عطاشاً والسيوف فى وجوهنا والرماح فى صدورنا والسهام فى نحورنا نخوض المنايا ونسبح فى الدماء لرحمتنا ايها الملك .

ثم تكلم البغل فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى فى ايدى بنى آدم والشُكُل فى ارجلنا واللجم على افواهنا والحَكَمات فى احناكنا والأكاف على ظهورنا وسفهاء الناس من الساسة والرحالين يشتموننا باقبح ما يقدرون عليه من الشتم ويضربون بالمقارع على وجوهنا وادبارنا بحنق وغيظ حتى انه ربما بلغ بهم ذلك الى ان يشتموا نفوسهم واخواتهم ، كل ذلك راجع اليهم وهم به اولى . فاذا فكرت ايها الملك فيما هم فيه من هذه الاوصاف من السفاهة والجهالة والفحشاء والقبيح من الكلام لرأيت منهم

عجباً من قلة الفصل بما هم فيه من الاحوال المذمومة والصفات القبيحة والاخلاق الردية والاعمال السيئة والجهالات المتراكة والآراء الفاسدة والمذاهب المختلفة ثم لا يتوبون ولا هم يذّكّرون ولا يتعظون بمواعظ انبيائهم ولا يأتمرون بوصايا ربهم حيث يقول: «وليعفوا وليصفحوا. ألا تحبونّ ان يغفر الله لكم.» وقوله: «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله.» وقوله: «وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا اممٌ امثالكم.» وقوله: «لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون.»

فلما فرغ البغل من كلامه التفت الجمل الى الخنزير اللعين وقال له قم وتكلم واذكر ما يلقى معاشر الخنازير من جور بنى آدم واشك الى الملك الرحيم فلعله يرؤف لنا ويرحمنا ويفك اسرنا من ايديهم فانكم من الانعام. — فقال حكيم من حكماء الجن: لعمرى ليس الخنزير من الانعام بل هو من السباع. ألا ترى ان له انياباً ويأكل الجيف؟ وقال قائل من الجن: بل هو من الانعام. ألا ترى انه ذوظلف يأكل العشب والعلف؟ وقال آخر: هو مركب من الانعام والبهائم مثل الزرافة فانها مركبة من البقر والنمر والجمل ومثل النعامة فان شكلها شبيه بالطير والجمل.

ثم قال الخنزير للجمل: والله ما اقول وممن اشكو من كثرة اختلاف القائلين فى امرنا. اما حكماء الجن فقد سمعت ما قالوا. واما الانس فهم اكثر خلافاً فى امرنا وابعد رأياً ومذهباً فى حقنا. وذلك ان المسلمين

يقولون انا مسوخ ملاعين يستقبحون صورنا ويستثقلون ارواحنا وهم يستقذرون لحومنا ويستنكفون من ذكرنا . واما الروم فهم يتنافسون على اكل لحومنا فى قرابينهم ويتبركون بذلك ويتقربون به الى الله تعالى . واما اليهود فيبغضوننا ويشتموننا ويلعنوننا من غير ذنب منا اليهم ولا جناية عليهم ولكن للعداوة بينهم وبين النصارى وابناء الروم . واما الارمن فحكمنا عندهم حكم الغنم والبقر عند غيرهم يتبركون بنا لخصب ابداننا وسمن لحومنا وكثرة نتاجنا . واما الاطباء اليونانيون فيتداوون بشحومنا ويضعونها فى ادويتهم ومعالجاتهم . واما ساسة الدواب فيخالطونها بدوابهم وعلفهم لان حالها تصلح عندهم بمخالطتنا وشمها من روائحنا . واما المعزّمون والراقون فيتواضعون جلودنا فى كتبهم وعزائمهم ورقاهم ومخاريقهم . واما الاساكفة والخرّازون فيتنافسون فى شعور اعرافنا ويبادرون فى نتف سباتنا لشدة حاجتهم اليها : فقد تحيرنا لا ندرى لمن نشكر وممن نشكو فنتظلم .

فلما فرغ الخنزير من كلامه التفت الملك الى الارنب وكان واقفاً بين يدى الجمل فقال له تكلم واذكر ما يلقى معاشر الارانب من جور بنى آدم واشك الى الملك الرحيم لعله يرحمنا وينظر فى امورنا وفك اسرنا من ايدى بنى آدم . — فقال الارنب : اما نحن فقد برئنا من بنى آدم وتركنا دخول ديارهم وآوينا الدحال والفيافى وسلمنا من شرهم . ولكن بلينا بالكلاب والجوارح والحبال ومعاونتهم ابنى آدم علينا وحملهم الينا وطلبهم لنا ولاخواننا من الغزلان وحمير الوحش وبقرها وأيلها والوعول

الساكنة فى الجبال اعتصاماً بها . ثم قال الارنب : اما الكلاب والجوارح فهم معذورون فى معاونة الانس علينا بما لها من السبب فى اكل لحومنا لانها ليست من ابناء جنسنا بل من السباع . واما الخيل فانها معاشر البهائم وليس لها نصيب من اكل لحومنا فما لها ومعاونة الانس علينا اولا الجهالة وقلة المعرفة والتحصيل للامور والحقائق .

فى بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم

قال الانسى للأرنب : اقصر فقد اكثرت اللوم والذم للخيل ولو علمت انه خير حيوان سخر للانس لما تكلمت بهذا . — قال الملك للانسى : ما تلك الخيرية التى قلت اذكرها ؛ — قال خصال محمودة واخلاق جميلة وسِيَر عجيبة : من ذاك حسن صورتها وتناسب اعضاء بنيتها وصفاء الوانها وحسن شعورها وسرعة عدوها وطاعتها لفارسها لانه كيفما صرفها الفارس انقادت له يمنة ويسرة وقداماً وخلفاً فى الطلب والهرب والكر والفر وذكاء انفسها وجودة حواسها وحسن ادبها ، ربما لا تروث ولا تبول ما دام راكبها عليها ولا تحرك ذنبها اذا ابتل لئلا يصيب صاحبها . ولها قوة التحمل تحمل راكبها بخوذته وجوشنه وسلاحه مع ما عليها من السرج والالجام والتجافيف وآلة الحديد نحو الف رطل عند سرعة العدو . ولها صبر الحمار عند اختلاف الطعن فى صدرها ونحرها فى الهيجاء وسرعة عدوها فى الغارات وجريان

بجريان السرحان ومشي كمشي الثور فى التبختر وخبب كتقريب التنفل وعطفات كعطفات جلود الصخر اذا حطه السيل . ولها وثبات كوثبات الفهد ومبادرة العدو فى الرهان لمن يطلب الغلبة . — فقال الارنب : ولكن مع هذه الخصال الحميدة والاخلاق الجميلة له عيب كبير يغطى هـذه الخصال كلها . قال الملك — ما هو بيّنْ لى : — قال جهله وقلة معرفتـه بالحقائق وذلك أنه يعدو تحت عدوّ صاحبه الذى لم يره قط فى الهرب مثل ما يعدو تحت صاحبه الذى ولد فى داره وربى فى منزله فى الطلب . ويحمل عدوّ صاحبه اليه كما يحمل صاحبه فى طلب عدوّه : وما مثله فى هذه الخصال الا كمثل السيف الذى لا روح معه ولا حس ولا معرفـة فانه يقطع عنق صاحبه وصيقله كما يقطع عنق من اراد كسره وتعويجه ولا يعرف الفرق بينهما .

ثم قال الارنب : ومثل هذه الخصلة موجودة فى بنى آدم وذلك ان احدهم ربما يعادى والديه واخوته واقرباءه ويكيد لهم ويسيء اليهم مثل ما يفعله لعدوّه البعيد الذى لم ير منه براً ولا احساناً قط . وذلك ان هؤلاء الإنس يشربون ألبان هؤلاء الانعام كما يشربون ألبان أمهاتهم ويركبون ظهور هـذه البهائم كما يركبون اكتاف آبائهم وهم صغار وينتفعون باصوافها واوبارها دثاراً واثاثاً ومتاعاً ثم آخر الامر يذبحونها ويسلخون جلودها ويشققون اجوافها ويقطعون مفاصلها ويذيقونها نار الطبخ والشيّ ولا يرحمونها ولا يذكرون احسانها اليهم وما نالوا من فضلها وبركاتها .

ولما فرغ الأرنب من لومه الانسى والخيل قال له الحمار لا تكثر اللوم فانه مامن احد من الخلق أُعطى فضائل جمة الا وقد حرم ما هو اكبر منها . وما

من احد حرم مواهب الا وقد أعطى شيئاً لم يعطه غيره لان مواهب الله كثيرة لا يستوفيها كلها شخص واحد ولا ينفرد بها نوع ولا جنس بل قد فرّقت على الخلق طراً فمكثر ومقل . وما من شخص آثار الربوبية عليه اظهرُ الا ورقّ العبودية عليه ابينُ : مثل ذلك نيرا الفلك وهما الشمس والقمر فانهما لما اعطيا من مواهب الله تعالى حظاً جزيلا من النور والعظمة والظهور والجلالة حتى انه ربما توهمهما قوم ريّن الهين لبيان آثار الربوبية فيهما حرما التحرز من الكسوف ليكون ذلك دليلاً لاولى الالباب على انهما لو كانا الهين لما انكسفا . وهكذا حكم سائر الكواكب لما اعطيت الانوار الساطعة والافلاك الدائرة والاعمار الطويلة حرمت التحرز من الاحتراق والرجوع والهبوط لتكون آثار العبودية عليها ظاهرة . وهذا حكم سائر الخلق من الجن والانس والملائكة فما منها احد أُعطى فضائل جميلة ومواهب جزيلة الاّ وقد حرم ما هو اكبر : وانما الكمال لله تعالى الواحد القهار .

فلما فرغ الحمار من كلامه تكلم الثور وقال : ولكن ينبغي لمن وَفُرَ حظه من مواهب الله تعالى ان يؤَدى شكرها وهو ان يتصدق من فضل ما اعطى على من قدحرم ولم يرزق منها شيئاً . ألا ترى ان الشمس لما وفرت حظاً جزيلاً من النور كيف تفيض من نورها على الخلائق ولا تمنّ عليهم ؟ وكذلك القمر والكواكب يفيض كل واحد منها على قدره وكان سبيل هؤلاء الانس لما اعطوا من مواهب الله ما قد حرم غيرهم من الحيوان ان يتصدقوا عليها ولا يمنوا عليها .

فلما فرغ الثور من كلامه صاحت البهائم والانعام وقالت : ارحمنا ايها

الملك العادل الكريم وخلصنا من جور هؤلاء الآدميين الظلمة . فالتفت ملك الجن الى جماعة ممن حضر من حكماء الجن وعلمائهم فقال : اما تسمعون شكاية هذه البهائم والانعام وما يصفنَ من جور بنى آدم عليها وظلمهم وتعديهم عليها وقلة رحمتهم ؟ — فقالوا قد سمعنا كل ماقالوا وهو حق وصدق ومشاهد منهم ليلاً ونهاراً لا يخفى على العقلاء ومن اجل هذا هربت بنو الجان من بين ظهرانيهم الى البرارى والقفار والمفاوز ورؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية وسواحل البحار لما رأت من سوء افعالهم ورداءة اخلاقهم وأبت ان تأوى ديار بنى آدم . ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم ورداءة اعتقادهم فى الجن وذلك انهم يعتقدون ان للجن والانس نزغات وخبطات وفزعات فى نسائهم وصبيانهم وجهالهم حتى انهم يتعوذون من شر الجن بالتعاويذ والرقى والاحراز والتمائم وما شاكلها ولم يرَ قط جني قتل انسياً او جرحه او اخذ ثيابه او سرق متاعه او نقب داره او فتق جيبه او بط كمه او فش قفله او قطع على مسافر او خرج على سلطان او اغار غارة او اخذ اسيراً بل كل هذه الخصال توجد فيهم ومتهمٌ بعضهم لبعض ليلاً ونهاراً ثم لا يتوبون ولا هم يذَّكَّرون .

فلما فرغ القائل من كلامه نادى منادٍ ألا ايها الملأ امسيتم فانصرفوا الى اماكنكم مكرمين لتعودوا غداً ان شاء الله آمنين .

في بيان منفعة المشاورة لذوى الرأي

ثم ان الملك لما قام عن المجلس خلا بوزيره بيدار وكان رجلاً عاقلاً رزيناً فيلسوفاً فقال له الملك : قد شاهدت المجلس وسمعت ما جرى بين هؤلاء الطوائف الواردين من الكلام والاقاويل وعلمت ما جاؤا له فماذا تشير ان نفعل بهم وما الصواب عندك ؟ — قال الوزير: ايدالله الملك وسدده وهداه للرشاد . الرأى الصواب عندى ان يأمر الملك قضاة الجن وفقهاءها وحكماءها واهل الرأى ان يجتمعوا عنده ويستشيرهم فى هذا الامر فان هذه قضية عظيمة وخطب جليل وخصومة طويلة والامر فيها مشكل جداً ، والرأى مشترك والمشاورة تزيد ذا الرأى المرضىّ بصيرة وتفيد المتحير رشداً والحازم اللبيب معرفة ويقيناً .

قال الملك نعم ما قلت وصواب ما رأيت ثم امر الملك باحضار قضاة الجن من آل برجيس والفقهاء من آل ناهيد واهل الرأى من بنى بيران والحكماء من اهل لقمان واهل التجارب من بنى هامان والفلاسفة من بنى كيوان واهل الصريمة والعزيمة من آل بهرام . فلما اجتمعوا عنده خلا بهم ثم قال قد علمتم ورود هذه الطوائف الى بلادنا ونزولهم بساحتنا ورأيتم حضورهم فى مجلسنا وقد سمعتم اقاويلهم ومناظراتهم وشكاية هذه البهائم الاسيرة من جور بني آدم وقد استجاروا بنا واستذموا بذمامنا فماذا ترون

وما الذى تشيرون ان يفعل بهم ؟ — قال رئيس الفقهاء من اهل ناهيد : بسط الله يد الملك بالقدرة ووفقه للصواب . الرأي عندى ان يأمر الملك هذه البهائم ان يكتبوا قصة يذكرون فيها ما يلقون من جور بني آدم ويأخذون فيها فتاوى الفقهاء فان فى هذا خلاصاً لهم من جورهم ونجاة من الظلم فان القاضى سيحكم لهم اما بالبيع او بالعتق او بالتخفيف والاحسان اليهم ، فان لم يفعل بنو آدم ما حكم القاضى وهربت هذه البهائم فلا وزر عليها ؟

فقال الملك للجماعة : فماذا ترون فيما قال واشار : قالوا صواباً ورشداً غير صاحب العزيمة من آل بهرام فانه قال : أرأيتم اذا استباحت هذه البهائم واجابتها بنو آدم الى ذلك من ذا الذي يزن اثمانها ؟ — قال الفقيه : الملك . قال من اين ؟ — قال من بيت مال المسلمين من الجن . قال صاحب الرأي : ليس فى بيت مال المسلمين من الجن ما يفى باثمانها وايضاً كثير من بني آدم لا يرغبون فى بيعها اشدة حاجتهم اليها واستغنائهم عن اثمانها مثل الملوك والاشراف والاغنياء . هذا امر لا يتم فلا تتعبوا افكاركم فيها . قال الملك : فما الرأي الصواب عندك ؟ — قال الصواب عندي ان يأمر الملك هذه البهائم والانعام الاسيرة فى ايدي بني آدم ان تجمع رأيها وتهرب كلها فى ليلة واحدة وتبعد من ديار بني آدم كما فعلت حمير الوحش والغزلان فان بني آدم اذا اصبحوا لا يجدون ما يركبون ولا ما يحملون عليه أثقالهم في طلبها لبعد المسافة ومشقة الطريق فيكون فى هذا نجاة لهم .

فعزم الملك على هذا الرأي ثم قال لمن كان عنده : ماذا ترون فيما قال صاحب الرأى ؟ . قال رئيس الحكماء من آل لقمان : هذا عندى امر

لا يتم لانه بعيد المرام لان اكثرهذه البهائم تكون بالليل مقيدة والابواب عليها مغلقة فكيف يستوى لها الهرب فى ليلة واحدة ؟ — قال صاحب العزيمة : يبعث الملك تلك الليلة قبائل الجن يفتحون لها الابواب ويحلّون عقالها ووثاقها ويضبطون حراسها الى ان يبعد هذه البهائم من ديارهم . واعلم ايّها الملك بان لك فى هذا أجراً عظيماً وقد محضت النصيحة لما ادركني من الرحمة لها فان الله تعالى اذا علم من الملك حسن النية وصحة العزم فانه يعينه ويؤيده وينصره ان شكر نعمه بمعاونة المظلومين وتخليص المكروبين فانه يقال ان فى بعض كتب الانبياء مكتوباً : « يقول الله سبحانه ايها الملك المسلط انى لم اسلطك لتجمع المال وتمتع بالشهوات واللذات ولكن لترد عني دعوة المظلوم فانى لا اردها ولو كانت من كافر . »

فعزم الملك على ما أشار به صاحب الرأي ثم قال لمن حوله من الحاضرين : ما ذا ترون فيما قال ؟ — قالوا محض النصيحة وبذل المجهود فصدّقوا رأيه اجمعون غير الفيلسوف من آل كيوان فانه قال : بصّرك الله ايها الملك خفيات الامور وكشف عن بصرك مشكلات الاسباب . ان فى هذا العمل خطباً جليلاً لا يؤمن غائلته ولا يستدرك اصلاح ما فات ومرمّة ما فرط . قال الملك للفيلسوف : عرّفنا ما الرأي وما الذى تخاف وتحذر . بيّنْ لنا انكون على علم وبصيرة . — قال : نعم ايها الملك غلط من اشار عليك من وجه نجاة هذه البهائم من ايدى بني آدم . أليس بنو آدم اذ يصبحون من الغد ويطّلعون على فرار هذه البهائم وهربها من ديارهم علموا يقيناً بان ذلك ليس هو شيئاً من فعل الانس ولا من تدبير

البهائم فلا يشكون ان ذلك من فعل الجن وحيلهم ؟ — قال الملك : لا شك فيه . قال أليس بعد ذلك كلما فكر بنو آدم فيما فاتهم من المنافع والمرافق بهربها منهم امتلأوا غماً وحزناً وغيظاً وأسفاً على ما فاتهم وحقدوا على بني الجان عداوة وبغضاً واضمروا لهم حيلاً ومكائد ويطالبونهم كل مطاب ويرصدونهم كل مرصد ويقع بنو الجان عند ذلك فى شغل وعداوة ووجل بعد ما كانوا فى غناء عنه وقد قال الحكماء : ان اللبيب العاقل هو الذى يصالح بين الاعداء ولا يجلب لنفسه عداوة بنفسه ولا بغيره . قالت الجماعة صدق الفيلسوف الحكيم .

ثم قال قائل من الحكماء : ما الذى تخاف وتحذر من عداوة الانس لبني الجان ان ينالهم من المكاره ؛ قد علمت ان بني الجان ارواح خفيفة نارية تتحرك علواً طبعاً وبنو آدم اجسام ارضية ثقيلة تتحرك بالطبع سفلاً ، ونحن نراهم وهم لا يروننا ونسرى فيهم وهم لا يحسون بنا . ونحن نحيط بهم وهم لا يمسوننا . فأي شيء نخاف منهم علينا ايها الحكيم ؟

فقال له الحكيم هيهات ذهب عنك اعظمها وخفى عليك اجلها . أما علمت ان بني آدم وان كانت لهم اجسام ارضية فان لهم ايضاً ارواحاً فلكية ونفوساً ناطقة ملكية بها يضلون عليكم ويغتالون لكم ؟ واعلموا ان لكم فيما مضى من اخبار القرون الأولى عبراً وفيما جرى بين بني آدم وبني الجان فى الدهور السالفة تجارب . فقال الملك : خبرنا ايها الحكيم كيف كان وحدثنا بما جرى من الخطوب .

في بيان بدء العداوة بين الجان وبني آدم

قال الحكيم : نعم ان بين بني آدم وبين الجان عداوة طبيعية وعصبية جبِلّية وطباعاً متنافرة يطول شرحها . قال الملك : اذكر لنا طرفاً مما تيسر وابتدئ من اوله . قال الحكيم : نعم ان في قديم الايام والازمان قبل خلق ابي البشر كان سكان الارض وقاطنوها بني الجان وكانوا قد اطبقوا الارض بحراً وبرّاً وسهلاً وجبلاً فطالت اعمارهم وكثرت النعمة عندهم وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصايا انبيائها واكثرت في الارض الفساد فضجت الارض ومن عليها من جورهم . فلما انقضى الدور واستأنف القرن ارسل الله جنداً من الملائكة نزلت من السماء فسكنت في الارض وطردت بني الجان الى اطراف الارض منهزمة واخذت سبايا كثيرة منها وكان فيمن أُخذ اسيراً عزازيل ابليس اللعين فرعون آدم وحواء وهو اذذاك صبيٌّ لم يدرك . فلما نشأ مع الملائكة تعلم من علمها وتشبه بها في ظاهر الامر ورسمه وجوهره غير رسومها وجوهرها فلما تطاولت الايام صار رئيساً فيها آمراً وناهياً متبوعاً حيناً ودهراً من الزمان . فلما انقضى الدور واستأنف القرن اوحى الله الى اولئك الملائكة الذين كانوا في الارض فقال لهم «اني جاعلٌ في الارض خليفة» من غيركم وارفعكم الى السماء . فكرهت الملائكة الذين كانوا في الارض مفارقة الوطن

المألوف وقالت فى مراجعة الجواب «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» كما كانت بنو الجان « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون » لانى آليت على نفسى ان لا اترك آخر الامر بعد انقضاء دولة آدم وذريته على وجه الارض احداً من الملائكة ولا من الجن ولا من الانس ولا من سائر الحيوانات الا ما اريد . ولهذه اليمين سرّ قد بيّناه فى موضع آخر .

فلما خلق آدم فسوّاه ونفخ فيه من روحه وخلق منه زوجته حوّاء امر الملائكة الذين كانوا فى الارض بالسجود له والطاعة فانقادت له الملائكة باجمعهم غير عزازيل فانه أنِفَ وتكبر واخذته حميّةُ الجاهلية والحسد لما رأى انه قد زالت رئاسته واحتاج ان يكون تابعاً بعد ان كان متبوعاً ومرؤوساً بعد ان كان رئيساً واوحى الله تعالى الى اولئك الملائكة ان اصعدوا بآدم الى السماء فأدخلوه الجنة ثم اوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام وقال « يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . » وهذه الجنة بستان بالمشرق على رأس جبل الياقوت الذى لا يقدر احد من البشر ان يصعد الى هناك وهي طيبة التربة معتدلة الهواء شتاء وصيفاً ليلاً ونهاراً كثيرة الانهار مخضرة الاشجار مفننة الفواكه والثمار والرياض والرياحين والازهار كثيرة الحيوانات غير المؤذية والطيور الطيبة الاصوات اللذيذة الالحان والنغمات . وكان على رأس آدم وحوّاء شعر طويل مدلى كاحسن ما يكون على الجواري الابكار ويبلغ قدميهما ويستر عورتهما وكان دثاراً لهما وستراً

وزينة وجمالاً . وكانا يمشيان على حافات تلك الانهار بين الرياحين والاشجار ويأكلان من ألوان تلك الثمر ويشربان من مياه تلك الانهار بلا تعب من الابدان ولا عناء من النفوس ولا شقاء من الحرث والزرع والسقى والحصاد والدياس والطحن والعجن والخبز والغزل والنسج والغسل وما فى هذه الايام اولادهما مبتلون به من شقاوة اسباب المعاش فى هذه الدنيا . وكان حكمهما فى تلك الجنة بحكم احد الحيوانات التى هناك مستودعَيْن مستمتعين مستريحين متلذذَيْن .

وكان الله تعالى ألهم آدم اسماء تلك الاشجار والثمار والرياحين واسماء تلك الحيوانات التى هناك فلما نطق آدم سأل الملائكة عنها فلم يكن عندها جواب فقعد عندذلك آدم معلماً يعرّفها اسماءها ومنافعها ومضارها فانقادت الملائكة لامرهِ ونهيهِ لما تبين لها من فضله عليها .

ولما رأى عزازيل ذلك ازداد حسداً وبغضاً فاحتال لهما المكر والخديعة والحيل غداً وعشاءً ثم اتاهما بصورة الناصح فقال لهما لقد فضلكما الله بما انعم عليكما به من الفصاحة والبيان ولو أكلتما من هذه الشجرة لازددتما علماً ويقيناً وبقيتما ههنا خالدَيْن آمنين لا تموتان ابداً . فاغترّا بقولهِ لما حلف لهما انى لكما لمن الناصحين . وحملهما الحرص وبادرا فتناولا ما كانا منهيَّين عنه . فلما أكلا منها تناثر شعرهما وانكشفت عورتهما وبقيا عريانين واصابهما حرُّ الشمس فاسودَّت ابدانهما ورأت الحيوانات حالهما ونفرت منهما وامر الله الملائكة ان أخرجوهما من هناك وارموا بهما الى اسفل الجبل . فوقعا فى موضع قفر لا نبت فيه ولا ثمر وبقيا هناك زماناً طويلاً يبكيان

وينوحان حزناً واسفاً على ما فاتهما نادمين على ما كان منهما . ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب الله عليهما وارسل ملكاً يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز والغزل والنسج والخياطة واتخاذ اللباس . ولما توالدا وكثرت ذريتهما خالطهم اولاد بنى الجان وعلموهم الصنائع والحرث والغرس والبنيان والمنافع والمضار وصادقوهم وتوددوا اليهم وعاشروهم مدة من الزمان بالحسنى .

ولكن كلما ذكر بنو آدم ما جرى على ابيهم من كيد عزازيل ابليس اللعين وعداوته لهم امتلأت قلوب بنى آدم غيظاً وبغضاً وحنقاً على اولاد بنى الجان . فلما قتل قابيلُ هابيل اعتقدت اولاد هابيل ان ذلك كان من تعليم بنى الجان فازدادوا غضباً وطلبوهم كل مطلب واحتالوا لهم بكل حيلة من العزائم والرُّقى والمنادل والحبس فى القوارير والعذاب بانواع الادخنة والبخورات المؤذية لاولاد الجان المنفّرة لهم المشتتة لامرهم . وكان ذلك دأبهم الى ان بعث الله تعالى ادريس النبي عليه السلام فاصلح بين بنى الجان وبنى آدم بالدين والشريعة والاسلام والملة وتراجعت بنو الجان الى ديار بنى آدم وخالطوهم وعاشوا معهم بخير الى ايام الطوفان وبعد ذلك الى ايام ابراهيم الخليل . فلما طرح فى النار اعتقد بنو آدم بان تعليم المنجنيق كان من بنى الجان لنمرود الجبار. ولما طرح اخوة يوسف اخاهم فى البئر نسب ذلك ايضاً الى نزعات الشيطان من اولاد الجان فلما بعث موسى اصلح بين بنى الجان وبنى اسرائيل بالدين والشريعة ودخل كثير من الجن فى دين موسى . فلما كان ايام سليمان بن داود وشدَّد الله ملكهُ وسخَّر لهُ

الجن والشياطين وغاب سليمان على ملوك الارض افتخرت الجن على الانس بان ذلك عن معاونة الجن لسليمان فقالت لولا معاونة الجن لسليمان لكان حكمهُ حكم احد الملوك بنى آدم وكانت الجن توهم الانس أنها تعلم الغيب . ولما مات سليمان والجن كانوا فى العذاب المهين ولم يشعروا بموته فتبين للانس انها لو كانت تعلم الغيب ما ابثت فى العذاب المهين . وايضاً لما جاء الهدهد بخبر بلقيس وقال سليمان للملاِ الجن والانس أيكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين افتخرت الجن وقال عفريت منهم انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلس الحكم وهو اصطوس من الايوان . قال سليمان اريد اسرع من ذلك . فقال الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخياء انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده خر سليمان ساجداً لله حين تبين فضل الانس على الجن وانقضى المجلس وانصرفت الجن من هناك خجلين منكسين رؤسهم وغوغاء الانس يطقطقون فى اثرهم ويصفقون خلفهم شامتين بهم . فلما جرى ما ذكرت هربت طائفة من الجن من سليمان وخرج عليه خارجى منهم فوجَّه سليمان فى طلبه قوماً من جنوده وعلمهم كيف يأخذونهم بالرقى والعزائم والكلمات والآيات المنزلات وكيف يحبسونهم بالمنادل وعمل لذلك كتاباً وجد فى خزانته بعد موته . واشغل سليمان طغاة الجن بالاعمال الشاقة الى ان مات .

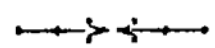
ولما ان بعث المسيح ودعا الخلق من الجن والانس الى الله تعالى ورغبهم فى لقائه وبيَّن لهم طريق الهدى وعلمهم كيف الصعود الى ملكوت السموات

فدخل فى دينه طوائف من الجن وترهبت وارتقت الى هنالك وسمعت من الملإ الاعلى الى الاخبار وألقت الى الكهنة فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم منعت من استراق السمع فقالت لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض ام أراد بهم ربهم رشداً . ودخلت قبائل من الجن فى دينه وحسن اسلامها وصلح الامر بين الجان وبين المسلمين من اولاد آدم الى يومنا هذا . ثم قال الحكيم يا معشر الجن لا تتعرضوا لهم ولا تفسدوا الحال بينكم وبينهم ولا تحركوا الاحقاد الساكنة ولا تثيروا العداوة القديمة المركوزة فى الطبائع والجبلّة فانها كالنار الكامنة فى الاحجار تظهر عند احتكاكها فتشتعل بالكبريت فتحرق المنازل والاسواق نعوذ بالله من ظفر الاشرار ودولة الفجار التي هي سبب العار والبوار .

فلما سمع الملك هذه القصة العجيبة اطرق مفكراً مما سمع ثم قال الملك : ايها الحكيم ما الرأي الصواب عندك فى امر هذه الطوائف الواردة المستجيرة بنا وعلى اى حال نصرفهم من بلدنا راضين بالحكم الصواب : — قال : الرأى الصواب لا ينتج الا بعد التثبت والتأنى والروية والاعتبار بالامور الماضية . والرأى عندى ان يجلس الملك غداً فى مجلس النظر ويحضر الخصوم ويسمع منهم ما يقولون من الحجج والبينات ليتبين له الى من يتوجه الحكم ثم يدبر الرأى بعد ذلك .

فقال صاحب العزيمة : أرأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس فى الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الانس عليها بذرابة ألسنتها وجودة عبارتها وفصاحتها أتترك هذه البهائم اسيرة فى

ايديهم يسومونها سوء العذاب دائماً ؟ — قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الاسر والعبودية الى ان ينقضي دور القرن ويستأنف نشاء آخر ويأتي الله بالفرج والخلاص كما نجا آل اسرائيل من عذاب آل فرعون وكما نجا آل داود من عذاب بختنصر وكما نجا آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجا آل ساسان من عذاب آل يونان وكما نجا آل عدنان من عذاب آل اردشير فان ايام هذه الدنيا دول بين اهلها تدور باذن الله وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والادوار في كل ألف سنة مرة او في كل اثنى عشر الف سنة مرة او في كل ستة وثلثين الف سنة مرة او في كل ثلثمائة وستين الف سنة مرة او في كل يوم مقداره خمسون الف سنة .



في بيان كيفية استخراج العامة اسرار الملوك

ولما خلا الملك ذلك اليوم بوزيره اجتمعت جماعة الانس في مجلس لهم وكانوا سبعين رجلا من بلدان شتى فأخذوا يرجمون الظنون فقال قائل منهم : قد رأيتم وسمعتم ما جرى اليوم بيننا وبين هؤلاء عبيدنا من الكلام والخطاب الطويل ولم تنفصل الخصومة أفتدرون اى شيء رأى الملك في امرنا فقالوا لا ندرى ولكن نظن انه قد لحق الملك من ذلك ضجر وشغل قلب وانه لا يجلس غداً للحكومة بيننا وبينهم . وقال آخر : اظن انه يخلو غداً مع الوزير ويشاوره في امرنا . وقال آخر : بل يجمع غداً

الحكماء والفقهاء ويشاورهم فى امرنا . قال آخر : لا ندرى ما الذى يشيرون به فى امرنا واظن ان الملك حسن الرأى فينا ، وقال آخر : ولكن اخاف ان الوزير يميل علينا ويحيف فى امرنا ، وقال آخر : امر الوزير سهل يحمل اليه شئ من الهدايا ليميل جانبه ويحسن رأيه فينا . قال آخر : ولكن اخاف من شئ آخر . — قالوا وماهو ؛ — قال فتاوى العلماء وحكم القاضى . قالوا : هؤلاء امرهم ايضاً سهل يحمل اليهم شيء من التحف والرشوة فيحسن رأيهم فينا ويطلبون لناحيلا فقهية ولا يبالون بتغيير الاحكام بيننا ولكن الذى يخاف منه هو صاحب العزيمة فانه صاحب الرأى الصواب والصرامة صلب الوجه وقح ولا يحابى احداً فان استشاره أخاف ان يشير اليه بمعاونة لعبيدنا علينا ويعلمه كيف ينزعها من ايدينا ، قال آخر : القول كما قلت ولكن ان استشار الملك الحكماء والفلاسفة فلا بد أنهم يتخالفون فى الرأى فان الحكماء اذا اجتمعت ونظرت فى الامر سنح لكل واحد منهم وجه من الرأى غير الذى سنح للآخر فيختلفون فيما يشيرون به اليه ولا يكادون يجتمعون على رأى واحد . قال آخر : أرأيتم ان استشار الملك الفقهاء والقضاة ما ذا يشيرون به اليه فى أمرنا ؟ فقال قائل منهم : لا تخلو فتاوى العلماء وحكم القاضى من احدى ثلاثة وجوه : اما عتقها وتخليتها من ايدينا او بيعها واخذ اثمانها او التخفيف عنها والاحسان اليها . ليس فى حكم الشريعة من احكام الدين غير الوجوه الثلاثة . قال آخر : ان استشار الملك الوزير ما ذا يشير اليه ؟ — قال قائل منهم : اظن انه سيقول له ان هذه الطوائف قد نزلوا ساحتنا واستذموا بذمامنا واستجاروا بنا وهم

مظلومون ونصرة المظلوم واجبة على الملك المقسط لأنهم خلفاء الله فى ارضه وانه ملكهم على عباده وبلاده ليحكموا بين خلقه بالعدل والانصاف ويعينوا الضعفاء ويرحموا اهل البلاء ويقمعوا الظلمة ويجبروا الخلق على احكام الشريعة ويحكموا بينهم بالحق شكراً لنعم الله لديهم وخوفاً من مسئلته غداً يوم القيامة لهم ، وقال آخر : أرأيتم ان امر الملك القاضى أن يحكم بيننا فيحكم باحد الاحكام الثلاثة ماذا تفعلون ؟ قالوا ليس لنا ان نخرج من حكم الملك والقاضى لان القضاة خلفاء الانبياء والملك حارس الدين . وقال آخر : أرأيتم ان حكم القاضى بعتقها وتخلية سبيلها ما ذا تصنعون ؟ قال آخر : نقول هي عبيدنا ومماليكنا ورثناهم عن آبائنا واجدادنا ونحن بالخيار ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل . قالوا : فان قال القاضى هاتوا الصكوك والوثائق والعهود والشهود بان هؤلاء عبيدكم ورثتموهم عن آبائكم ؟ فانا نجيء بالشهود من جيراننا وعدول بلداننا . قال : فان قال القاضى لا اقبل شهادة الانس بعضهم لبعض على هذه البهائم انها عبيدلهم لان كلهم خصماء لها وشهادة الخصم لا تقبل فى احكام الدين . او يقول القاضى اين الصكوك والوثائق والعهود هاتوها وأحضروها ان كنتم صادقين ما ذا نقول ونفعل ؟

فلم يكن عند الجماعة جواب لذلك الا عند الاعرابى فانه قال : نقول قد كانت لنا عهود ووثائق وصكوك ولكنها غرقت فى ايام الطوفان . فان قال احلفوا بايمان مغلظة بانها عبيد لكم . نقول اليمين على من انكر ونحن مدّعون . قال : فان استحلف القاضى هذه البهائم فحلفت انها

ليست بعبيد لكم فما ذا تقولون ؟ قال قائل منهم : نقول انها حنثت فيما حلفت ولنا حجج عقلية وبراهين ضرورية تدل على انها عبيد لنا . قال أرأيتم ان حكم القاضي ببيعها وأخذ اثمانها فما ذا تفعلون ؟ — قال اهل المدن : نبيعها ونأخذ اثمانها وننتفع بها . وقال اهل الوبر من الاعراب والاكراد والاتراك : هلكنا والله ان فعلنا ذلك . الله الله فى امورنا ولا تحدثوا انفسكم بهذا . قال اهل المدن : لم ذلك ؟ قالوا : لانا اذا فعلنا ذلك بقينا بلا لبن نشرب ولا لحم نأكل ولا ثياب من صوف ولا دثار من وبر ولا أثاث من شعر ولا نعال ولا خفاف ولا غطاء ولا وطاء فنبقى عراة حفاة اشقياء بسوء الحال ويكون الموت لنا خيراً من الحياة ويصيب ايضاً اهل المدن مثل ما اصابنا لحاجتهم اليها فلا تبيعوها ولا تعتقوها ولا تحدثوا انفسكم بهذا بل لا ترضوا الا بالاحسان اليها والتخفيف عنها والرفق بها فانها لحم ودم مثلكم وتحس وتألم ولم تكن لكم سابقة عند الله جازاكم بها حين سخرها لكم ولا كان لها جناية عند الله عاقبها بها ولا ذنب ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا مبدل لحكمه ولا مردّ لقضائه ولا منازع له فى ملكه ولا خلاف لمعلومه ، اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

ولمّا قام الملك من مجلسه وانصرفت الطوائف الحاضرات اجتمع البهائم تخلصت نجياً فقال قائل : قد سمعتم ماجرى بيننا وبين خصمائنا من الكلام والمناظرة ولم تنفصل الخصومة فما الرأى عندكم ؟ — قال قائل منهم : نعود من غدٍ نشكو ونبكي ونتظلم فلعل الملك يرحمنا ويفك اسرنا فانه قد أدركته الرحمة علينا اليوم ولكن ليس من الرأى الصواب للملوك والحكام

ان يحكموا بين الخصمين الا بعد ان يتوجَّه الحكم على احد الخصمين بالحجة الواضحة والبينة العادلة والحجة لا تصح الا بالفصاحة والبيان وذرابة اللسان وهذا حاكم الحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انكم تختصمون اليَّ ولعل بعضكم ألحنُ بحجته من بعض فاحكم له . فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذنَّ منه شيئاً فانى انما اقطع له قطعة من النار . » واعلموا ان الانس افصح لساناً منا واجود بياناً وانا اخاف ان يحكم لهم علينا عند الحجاج والنظر ، فما الرأى الصواب عندكم ؟ قولوا فان كل واحد من الجماعة اذا فكّر سنح له وجه من الرأى صائباً كان او خطأً .

قال قائل منهم : الرأى الصواب عندنا ان نبعث رسلا الى سائر اجناس الحيوانات ونعرفها الخبر ونسألهم ان يبعثوا الينا زعماءهم وخطباءهم ليعاونوا فيما نحن نسأله فان كل جنس منها لها فضيلة ليست للآخر وضروب من التميز والرأى الصواب والفصاحة وان كثرت الانصار رُجيَ الفلاح والنجاة والنصر من الله تعالى فانه ينصر من يشاء والعاقبة للمتقين .

فقالت الجماعة : حينئذ صواباً رأيت ونعم ما اشرت فأرسلوا ستة نفر الى ستة اجناس من الحيوانات وسابعها هم حضور من البهائم والانعام : رسولا الى السباع ورسولا الى الجوارح ورسولا الى الطير ورسولا الى الحشرات ورسولا الى الهوام ورسولا الى حيوان الماء ثم بعد ذلك رتّبوا الرسل وبعثوا الى كل واحد منها .

فى بيان نتايج الرسالة كيف يكون

ولما وصل الرسول الى ابى الحارث الاسد ملك السباع وعرّفه الخبر قال له : ان لزعماء البهائم والانعام مع زعماء الانس عند ملك الجن مناظرة وقد بعثوا الى سائر اجناس الحيوانات يستمدون منها وقد بعثونى اليك لترسل معي زعيماً من جنودك من السباع ليناظر وينوب عن الجماعة من ابناء جنسه اذا دارت النوبة فى الخطاب اليه . فقال الملك للرسول : ما يزعم الانس وما يدّعون على البهائم والانعام ؟ — قال الرسول : يزعمون انها عبيد لهم وانهم ارباب لها ولسائر الحيوانات التي على وجه الارض . قال الاسد : بماذا يفتخرون علينا ويستحقون الربوبية أبالقوة والشدة ؟ او بالشجاعة والجسارة ؟ او بالحملات والوثبات ؟ ام بالقبض والامساك بالمخاليب ؟ أم بالقتال والوقوف فى الحرب ؟ ام بالهيبة والغلبة ؟ فان كانوا يفتخرون بواحدة من هذه الخصال جمعت جنودى ثم ذهبنا لنحمل عليهم حملة واحدة نفرق جمعهم ونبيد أصلهم . قال الرسول : لعمرى ان فى الانس من يفتخر بهذه الخصال التي ذكرها الملك ولهم مع ذلك اعمال وصنائعُ وحيل ورفق من اتخاذ السلاح الشاكّ من السيوف والرماح والزوبينات والحربات والسكاكين والنشاب والقسى والجنن والاحتراز من

السباع ومخالبها وانيابها باتخاذ لباس اللبود والقزاغندات والجواشن والدروع والخوذ والزرود ما لا ينفذ فيها انياب السباع ولا تصل اليها مخالبها الحداد ولهم مع ذلك حِيَل اخرى فى اخذ السباع والوحوش من الخنادق المحفورة والوأبات المستورة بالتراب والحشيش والصناديق المعمولة والفخاخ المنصوبة والوهاد وآلات اخَرَ لا يعرفها السباع فتحذرها ولا تهتدى كيف الخلاص منها اذا هي وقعت فيها . ولكن ليس الحكومة ولا المناظرة بحضرة ملك الجن فى خصلة من هذه وانما الحجاج بفصاحة الالسنة وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز .

فلما سمع الاسد قول الرسول وما اخبره فكّر ساعة ثم امر فنادى مناد فاجتمع عنده جنوده من اصناف السباع واصناف القرود وبنات عرس وبالجملة كل ذى مخلب وناب يأكل اللحم . فلما اجتمعت عند الملك عرّفها الخبر وما قال الرسول ثم قال ايكم يذهب الى هناك فينوب عن الجماعة فنضمن له ما يريد ويتمنى علينا من الكرامة اذا هو انجح بهم فى المناظرة وحج فى الحجاج ؟ فسكتت السباع ساعة مفكرة هل يصلح احد لهذا الشان ام لا . ثم قال النمر للاسد — وهو وزيره — انت ملكنا وسيدنا ونحن عبيدك ورعيتك وجنودك وسبيل الملك ان يدبر الرأى ويشاور اهل الرأى والبصيرة بالامور، ثم يأمر وينهى ويرتب الامور كما يجب . وسبيل الرعية ان يسمعوا ويطيعوا لان الملك من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد والرعية والجنود له بمنزلة الاعضاء للبدن . فمتى قام كل واحد منهما بما يجب عليه من الشرائط انتظمت الامور واستقامت وكان فى ذلك

صلاح الجميع وفلاح الكل .

فقال الاسد للنمر : وما تلك الخصال والشرائط التى قلت انها واجبة على الملك والرعية ؟ بيّنها لنا . — قال : نعم ان الملك ينبغى ان يكون اديباً لبيباً شجاعاً عادلاً رحيماً عالى الهمة كثير التحنن شديد العزيمة صارماً فى الامور متأنياً ذا رأى وبصيرة . ومع هذه الخصال ينبغى ان يكون مشفقاً على رعيته متحنناً على جنوده واعوانه رحيماً بهم كالاب المشفق على الاولاد ، شديد العناية بصلاح امورهم . واما الذى هو واجب على الرعية والجند والاعوان فالسمع والطاعة للملك بالمحبة له والنصيحة لاخوانه وان يعرّفه كل واحد منهم ما عنده من المعونة وما يحسن من الصناعة وما يحسن من الاعمال . ويعرّف الملك اخلاقه وسجاياه ليكون الملك على علم يصلح له منه وينزل كل واحد منزلته ويستخدمه فيما يحسنه ويستعين به فيما يحتاج اليه .

قال الاسد : لقد قلت صواباً ونطقت حقاً فبوركت من حكيم ناصح للملك واعوانه وابناء جنسه . فما الذى عندك من المعاونة فى هذا الامر الذى دعيت اليه واستُعنت فيه ؟ قال النمر : سعد نجمك وظفرت يداك ايها الملك ان كان الامر هناك يمشى بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحقد والحنق والحمية فانا لها . قال الملك : لا يمشى الامر هناك بشىء مما ذكرت . قال الفهد : ان كان الامر يمشى بالوثبات والقفزات والقبض والضبط فانا لها . قال الملك : لا . قال الذئب : ان كان الامر يمشى هناك بالغارات والخصومات والعطفات والمكابرة فانا لها . قال الملك : لا . قال الثعلب : ان كان الامر يمشى هناك بالحيل والعطفات والروغان وكثرة الالتفات

والمكر فانا لها . قال الملك : لا . قال ابن عرس : ان كان الامر هناك يمشي باللصوصة والتجسس والاخفاء والسرقة فانا لها . قال الملك : لا . قال القرد : ان كان الامر هناك يمشي بالحيلاء والمحاكاة واللعب واللهو والرقص عند ضرب الدف والطبل فانا لها . قال الملك : لا . قال السنور : ان كان الامر يمشي هناك بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة والتخرخر فانا لها . قال الملك : لا . قال الكلب : ان كان الامر يمشي هناك بالبصبصة وتحريك الذَّنب واتباع الأثر والحراسة والنباح فانا لها . قال الملك : لا . قال الضبع : ان كان الامر هناك يمشي بنبش القبور وجرّ الجيف وجذب الكلاب والكراع وثقل الروح فانا لها . قال الملك : لا . قال الجرذ : ان كان الامر يمشي هناك بشيء من الاضرار والافساد والسرقة والاخراق فانا لها . قال الملك : لا يمشي الامر بشيء من هذه الخصال التي ذكرتموها .

ثم اقبل ملك السبع وهو الاسد على النمر وقال لهُ : ان هذه الاخلاق والطباع والسجايا التي ذكرت هذه الطوائف من انفسها لا تصلح الا لجنود الملوك من بني آدم وسلاطينهم وامرائهم وقادة الجيوش وولاة الحروب وهم اليها احوج وهم بها أليق لان نفوسهم سبعية وان كانت اجسادهم بشرية وصورهم آدمية ، واما مجالس العلماء والفقهاء والفلاسفة والحكماء واهل العقل والرأي والتفكر والتمييز والروية فان اخلاقهم وسجاياهم اخلاق الملائكة الذين هم سكان السموات وملوك الافلاك وجنود رب العالمين . فمن ترى يصلح ان نبعثهُ الى هناك لينوب عن الجماعة ، — قال النمر : صدقت ايها الملك فيما قلت . ولكن ارى ان العلماء

والفقهاء والقضاة من بنى آدم قد تركوا هذه الطريقة التى قلت انها اخلاق الملائكة واخذوا فى ضروب من اخلاق الشياطين من المكابرة والمغالبة والتعصب والعداوة والبغضاء فيما يتناظرون ويتجادلون من الصياح والجلبة والشناعة وهكذا نجد فى مجالس القضاة والحكام يفعلون ما ذكرت وتركوا استعمال الأدب والعدل والنصفة . قال الملك : صدقت ولكن يجبّ ان يكون الملك خيّراً فاضلاً كريماً لا يميل ولا يحيف فى الاحكام ، فمن ترى ان نبعث الى هناك رسولاً زعيماً يفي بخصال الرسالة اذ ليس فى هذه الجماعة الحضور من يفي بها ؟

فى بيان كيفية الرسول كيف ينبغي ان يكون

قال النمر للاسد : فما تلك الخصال التى ذكرت ايها الملك انها تجب ان تكون فى الرسول ؟ بيّنها . قال الملك : نعم اولها يحتاج ان يكون رجلاً عاقلاً حسن الاخلاق بليغ الكلام فصيح اللسان جيدالبيان حافظاً لما يسمع متحرزاً فيما يجيب ، ويكون مؤدياً للامانة حسن العهد مراعياً للحقوق كتوما للسرّ قليل الفضول فى الكلام لا يقول من رأيه شيئاً غير ما قيل لهُ الا ما يرى فيه صلاح المرسل ولا يكون شرهاً حريصاً اذا رأى كرامة عند المرسل اليهِ ورغب فيه مال الى جنبه وخان مرسله واستوطن البلد لطيب عيشه هناك اوكرامةٍ يجدها ثمّ او شهوات ينالها هناك ، بل يكون ناصحاً

لمرسله واخوانه واهل بلده وابناء جنسه ويبلغ الرسالة ويرجع بسرعة الى مرسلهِ فيعرّفهُ جميع ما جرى من اوله الى آخره ولا يحابي في شيء من تبليغ الرسالة مخافة من مكروه ينالهُ فانه ليس على الرسول الا البلاغ المبين . ثم قال الاسد للنمر : فمن ترى يصلح لهذا الشان من هذه الطوائف ؟ . قال النمرْ : لا يصلح لهذا الامر الا الحكيم الفاضل الخير كليلة اخو دمنة . فقال الاسد لابن آوى : ما تقول فيما قال فيك ؟ قال : احسن الله جزاءهُ واطاب محضره وأناله ما يشتهيه من الفضل والكرم .

قال الملك لابن آوى : فهل تنشط أن تمضي الى هناك وتنوب عن الجماعة ولك الكرامة علينا اذا رجعت وانلحت ؟ قال : سمعاً وطاعة لامر الملك ، ولكن لا ادرى كيف اعمل وكيف اصنع مع كثرة اعدائي هناك من ابناء جنسنا . قال الاسد : من أعداؤك من ابناء جنسك هناك ؟ قال : الكلاب ايها الملك . قال : ما لها ؟ قال : أليس قد استأمنت الى الانس وصارت معينة لها على معشر السباع ؟ قال الملك : وما الذي دعاها الى ذلك وحملها عليه حتى فارقت ابناء جنسها وصارت مع من لا يشاكلها معينة لهم على ابناء جنسها ؟ فلم يكن عند احد من ذلك علم غير الدب فانه قال أنا ادري أي شيء كان السبب وما الذي دعاها الى ذلك .

قال الملك : قل لنا وبيّنه لنعلم كما تعلم . قال : نعم ايها الملك انما دعا الكلاب الى مجاورة بنى آدم ومداخلتهم مشاكلة الطباع ومجانسة الاخلاق وما وجدت عندهم من المرغوبات واللذات من المأكولات والمشروبات وما في طباعها من الحرص والشرَه واللؤم والبخل وما شاكلها

من الاخلاق المذمومة الموجودة فى بنى آدم مما السباع عنها بمعزل وذلك أن الكلاب تأكل اللحمان منتناً وجيفاً ومذبوحاً وقديداً ومطبوخاً ومشوياً ومالحاً وطرياً وجيداً ورديّاً وثماراً وبقولاً وخبزاً ولبناً حليباً وحامضاً وجبناً وسمناً ودبساً وشيرجاً وناطفاً وعسلاً وسويقاً وكواميخ وما شاكلها من اصناف مأكولات بنى آدم التى اكثر السباع لا يأكلها ولا يعرفها ، ومع هذه الخصال كلها فان بها من الشره والحرص واللؤم والبخل ما لا يمكنهم أن يتركوا احداً من السباع أن يدخل قرية ومدينة مخافة أن ينازعها فى شيء مما هي فيه حتى انه ربما يدخل من بنات آوى او بنات ابى الحصين احدٌ قريةً بالليل ليسرق منها دجاجة او ديكاً او سنوراً او يجرّ جيفةً مطروحة او كسرةً من ميتة او ثمرةً متغيرة فترى الكلاب كيف تحمل عليه فتطرده وتخرجه من القرية ، ومع هذه كلها ايضاً يرى بها من الذل والمسكنة والفقر والهوان والطمع اذا ما رأت فى ايدي بنى آدم من الرجال والنساء والصبيان رغيفاً او كسرةً او ثمرةً او لقمة كيف تطمع فيها وكيف تتبعه وتتبصبص بذنبها وتحرك رأسها وتحد النظر الى حدقتيه حتى يستحيي احدهم ويرمي بها اليها ثم تراها كيف تعدو اليها بسرعة وكيف تأخذها بعجلة مخافة أن يسبقها اليها غيرها ، وكل هذه الاخلاق المذمومة موجودة فى الانس والكلاب : فمجانسة الاخلاق ومشاكلة الطباع دعت الكلاب الى أن فارقت ابناء جنسها من السباع واستأمنت الى الانس وصارت معهم معينةً لهم على ابناء جنسها من السباع .

قال الملك : فمن غير الكلاب من المستأمنة الى الانس ؟ قال الدب :

السنانير ايضاً من المستأمنة اليهم . قال الملك : ولم استأمنت السنانير ؟ قال : لعلة واحدة وهي مشاكلة الطباع لأن السنانير فيها ايضاً من الحرص والشرَه والرغبة فى ألوان المأكولات والمشروبات مثل ما بالكلاب . قال الملك : فكيف حالها عندهم ؟ قال : هى احسن حالاً قليلاً من الكلاب وذلك ان السنانير تدخل بيوتهم وتنام فى مجالسهم وتحت فرشهم وتحضر موائدهم فيطعمونها مما يأكلون ويشربون وهى ايضاً تسرق منهم احياناً اذا وجدت فرصة من المأكولات ، وأما الكلاب فلا يتركونها تدخل بيوتهم ومجالسهم فبين السنانير والكلاب لهذا السبب حسد وعداوة شديدة حتى ان الكلاب اذا رأت سنورةً قد خرجت من بيوتهم حملت عليها حملة من يريد أن يأخذها ويأكلها ويمزقها والسنانير اذا رأت الكلاب نفخت فى وجوهها ونفشت شعرها واذنابها وتطاولت وتعظمت كل ذلك عناداً لها ومناصبةً وعداوة وحسداً وبغضاً وتنافساً فى المراتب عند بنى آدم .

قال الاسد للدب : هل رأيت ايضاً احداً من المستأمنة عندهم غير هذين من السباع ؟ — قال : الفأر والجرذان يدخلون منازلهم وبيوتهم ودكاكينهم وانباراتهم غير مستأمنة بل على وحشة ونفور . قال : فما ذا يحملها على ذلك ؟ قال : الرغبة فى الالوان من المأكولات والمشروبات . قال : ومن يداخلهم ايضاً من اجناس السباع ؟ — قال : ابن عرس على سبيل اللصوصية والخلسة والتجسس . قال : ومن غيرهم يداخلهم ؟ — قال : لا غير سوى الاسارى من الفهود والقرود على كره منها .

قال الملك للدب : منذ متى استأمنت الكلاب والسنانير الى الانس ؟
قال : منذ الزمان الذي تظاهرت فيه بنو قايل على بنى هابيل . قال : كيف كان ذلك الخبر ؟ حدثنا به — قال : لما قتل قابيل اخاه هابيل طلب بنو هابيل لبنى قابيل ثأر ابيهم واقتتلوا وتذابحوا واستظهرت بنو قايل على بنى هابيل وهزموهم ونهبوا اموالهم وساقوا مواشيهم من الاغنام والبقر والجمال والخيل والبغال واستغنَوْا وأصلحوا الدعوات والولائم وذبحوا حيوانات كثيرة ورموا برؤسها وأكارعها حول ديارهم وقراهم ، فلما رأتها الكلاب والسنانير رغبت فى كثرة الريف والخصب ورغد العيش فداخلتهم وفارقت ابناء جنسها وصارت معهم معينة لهم الى يومنا هذا .

فلما سمع الاسد ما ذكره الدب من هذه القصة قال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون واستكثر من تكرار هذه الكلمة . فقال له الدب : ما الذي اصابك ايها الملك الفاضل ، وما هذا التأسف على مفارقة الكلاب والسنانير من ابناء جنسها ؟ — قال الاسد : ليس تأسفي على شيء فاتنى منهم ولكن لما قالت الحكماء : ليس شيء على الملوك أضر ولا أفسد لأمره وأمور رعيته من المستأمنين من جنده واعوانه الى عدوه لانهم يعرّفون لعدوه اسراره واخلاقه وسيرته وعيوبه واوقات غفلاته ويعرّفونه النصحاء من جنوده والخونة من رعيته ويدلونه على طرقات مخفية ومكايد دقيقة وكل هذه ضارة للملوك واجنادها لا بارك الله فى الكلاب والسنانير . — قال الدب : قد فعل الله بها ما دعوته عليها ايها الملك واستجاب دعاءك ورفع البركة عن نسلها وجعلها فى

الغنم . قال : كيف ذلك ؟ قال : لأن الكلبة الواحدة تجتمع عليها عدة فحولة لتحبلها وتلق هى من الشدة عند التعلق والتخلص جهداً وعناءً ، ثم انها تلد ثمانية أجراء او اكثر ولا ترى منها فى البر قطيعاً ولا فى مدينة كما تري ذلك فى الاغنام من القطعان فى البراري ولا يذبح منها كل يوم فى المدن والقرى من العدد ما لا يحصى كثرته ومع ذلك تُنتج الغنم فى كل سنة واحداً او اثنين والعلة فى ذلك ان الآفات تُسرع الى اولاد الكلاب والسنانير من قبل الفطام لكثرة اختلاف مأكولاتها فتعرض لها امراض مختلفة مما لا يعرض للسباع منها شىءٌ . وكذلك ان سوء اخلاقها وتأذّى الناس بها ينقص من عمرها ومن عمر اولادها وتكون بذلك من المستخفّين المسترذلين . ثم قال الاسد لكليلة : سر بالسلامة على عون الله وبركته الى حضرة الملك وبلّغ ما أُرسلت به اليه .

ولما وصل الرسول الى ملك الطير وهو السيمرغ أمر منادياً فنادى فاجتمعت عنده اصناف الطيور من البر والبحر والسهل والجبل بعدد كثير لا يحصيها الا الله عز وجل فعرفها ما اخبره به الرسول من اجتماع الحيوانات عند ملك الجن للمناظرة مع الانس فيما ادّعوه عليها من الرق والعبودية . ثم قال السيمرغ للطاؤس وزيره : من هنا من فصحاء الطيور ومتكلميها ومن يصلح أن نبعثه الى هناك رسولاً لينوب عن الجماعة فى المناظرة مع الانس ؟ قال الطاؤس : ههنا جماعة . قال : سمّهم لى لأعرفهم . قال : ههنا الهدهد الجاسوس والديك المؤذن والحمام الهادى والدراج المنادى والتَّدْرج المغني والقبرة الخطيب والبلبل المحاكى والخطاف البناء

والغراب الكاهن والكركى الحارس والطيطوى الميمون والعصفور الشبق والشَقراق الخضِر والفاختة النائح والوَرَشان الرمليُّ والقُمرى المكى والصعوة الجبلى والزرزور الفارسى والسُّمانى البرى واللقاق القلعي والعقعق البستانى والبط الكسكري ومالك الحزين وهو ابو تيمار الساحلى والأوز البطائحى والغواص البحرى والهزار اللغوى الكثير الالحان والنعامة البدوي .
قال السيمُرْغ للطاؤس : فأرِهم واحداً واحداً لأنظر اليهم وأُبصر شمائله هل يصلح لهذا الامر ام لا ؟ — قال نعم : أما الهدهد الجاسوس صاحب سليمان بن داود فهو ذاك الشخص الواقف اللابس مرقّعةً ملونة المنتن الرائحة قد وضع البُرنس على رأسه يقعّر كأنه يسجد ويركع وهو الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر والقائل لسليمان بن داود فى خطاب معه : « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين . إنى وجدت امرأةَ تملكهم وأُوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألاَّ يسجدوا لله الذي يخرج الخَبْءَ فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم . »

وأما الديك المؤذن فهو ذاك الشخص الواقف فوق الحائط صاحب اللاحية الحمراء والتاج ذي الشرفات الاحمر العينين المنتشر الجناحين المنتصب الذنب كأنه اعلام ودو النبور السحي الشديد المراعاة لأمر حرمهِ العارف بأوقات الصلاة المذكّر بالاسحار المنبه للجيران الحسن الموعظة وهو القائل

فى أذانه وقت السحر : « اذكروا الله ايها الجيران ما اطول ما انتم نائمون الموتَ والبلى لا تذكرون ومن النار لا تخافون والى الجنة لا تشتاقون ولنعم الله لا تشكرون ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا فاذكروا هادم اللذات وتزودوا فان خير الزاد التقوى . »

وأما الدرّاج المنادي فهو ذلك الشخص القائم على التل الابيض الخدين الابلق الجناحين المحدودب الظهر من طول السجود والركوع وهو الكثير الاولاد المبارك النتاج المذكّر المبشّر فى ندائه ، وهو القائل فى ايام الربيع : بالشكر تدوم النعم ، وبالكفر تحل النقم . ثم يقول : « واشكروا نعمة الله يزدكم ولا تظنوا بالله ظن السوء » : ثم يقول ايضاً فى الربيع :

سبحان ربى وحده عز وجل حمداً على نعمائه فقد شمل
جاء الربيع والشتا قد ارتحل قد استوى الليلُ النهارَ فاعتدل
ودارت الايام حولاً قد كمل من عمل الخير ففي الخير حصل

ثم يقول : اللهم اكفني شر بنات آوى والجوارح والصيادين من بنى آدم ووصفِ اطبائهم المنافع فىَّ من جهة تغذية المرضى لا عيش لى فأذكر الله ذكراً كثيراً واكون منادىَ الحق فى وجه الصبح ابني آدم كى يسمعوا ويتعظوا بمواعظى الحسنة .

وأما الحمام الهادي فهو ذاك المحلّق فى الهواء الحامل للكتاب السائر الى بلاد بعيدة فى رسائله وهو القائل فى طيرانه وذهابه : يا وحشتا من فرقة الاخوان ، ويا اشتياقا للقاء الخلان ، يارب فأرشدنا الى الاوطان .

وأما التَدْرُج المغنى فهو ذاك الشخص الماشى بالتبختر فى وسط

البستان بين الاشجار والريحان المطرب بأصواته الحسان ذوات النغم والالحان. وهو القائل فى مراثيه ومواعظه : يا مفنياً للعمر فى البنيان، وغارس الاشجار فى البستان، وبانى القصور فى البلدان، وقاعداً فى الصدر والايوان، وغافلاً عن نوبة الزمان، احذر ولا تغتر بالرحمن، واذكر عن الترحال للجبان، ومجاورة الحيات والديدان من بعد طيب العيش والمكّان، فان تنتبه قبل ان تفارق الاوطان تدخل فى خير مكان.

وأما القبرة الخطيب فهو ذاك الشخص صاحب الرتبة المرتفع فى الهواء على رأس الزرع والحصاد فى انصاف النهار كالخطيب على المنبر الملحّنُ بأنواع الاصوات وبفنون النغمات اللذيذة وهو القائل فى خطبته وتذكاره : أين اولو الالباب والافكار، اين ذوو الارباح والتجار، اين الزراع فى القفار، يبغون من حبة واحدة سبعين ضعفاً زيد فى المقدار موهبة من واحد غفار، فاعتبروا يا اولى الابصار، وآتوا حقه يوم حصاده ولا تغدوا تخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. من يزرع الخير يحصده غداً غبطة، ومن يغرس معروفاً يجنِ غداً ثمراً طيباً، فالدنيا كالمزرعة والعاملون من ابناء الآخرة كالحراث واعمالهم كالزرع والشجر والموت كالحصاد والصرام والقبر كالبيدر ويوم البعث كأيام الدياس، واهل الجنة كالحب والثمر، واهل النار كالتبن والحطب اللذان لا قيمة لهما، فلو كان لهما قيمة لما وجب احراقهما «يوم يميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم. وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.»

وأما البلبل المحاكي فهو ذاك القاعد على غصن تلك الشجرة وهو الصغير الجثة السريع الحركة الابيض الخدين الكثير الالتفات يمنة ويسرة الفصيح اللسان الجيد البيان الكثير الالحان يجاور بني آدم فى بساتينهم ويخالطهم فى منازلهم ويكثر مجاوبتهم فى كلامهم ويحاكيهم فى نغماتهم ويَعظُهم فى تذكاره لهم وهو القائل لهم عند لهوهم وغفلاتهم : سبحان الله كم تلعبون ، سبحان الله كم تولعون ، سبحان الله كم تضحكون ، سبحان الله ألا تسبحون ، أليس للموت تولدون ، أليس للبلى تربون ، أليس للخراب تبنون ، أليس للفناء تجمعون ؟ كم تلعبون ، أليس غداً تموتون وفى التراب تدفنون ؟ . « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » يا ابن آدم « ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » ثم يقول : اللهم اكفني ولع الصبيان وشر سائر الحيوان يا حنان يا منان .

وأما الغراب الكاهن المنبئ الأنباء فهو ذاك الشخص اللابس السواد المتوقي الحذر المذكر بالأسحار الطوّاف فى الديار المتتبع للآثار الشديد الطيران الكثير الأسفار الذاهب فى الاقطار المخبر بالكائنات المحذّر من آفات الغفلات . وهو القائل فى نعيقه وإنذاره : الوحا الوحا ، النجا النجا ، احذر البلى يا من طغى وبغى ، وآثر الحياة الدنيا ، أين المفرّ والخلاص من القضا الا بالصلاة والدعا ، لعل رب السماء يكفيكم البلاء كيف يشاء .

وأما الخطاف البناء فهو السابح فى الهواء الخفيف الطيران القصير

الرجلين الوافر الجناحين وهو المجاور لبنى آدم فى دورهم والمربى لاولاده فى منازلهم وهو الكثير التسبيح بالاسحار الكثير الدعاء والاستغفار بالعشيّ والابكار والذاهب بعيداً فى الاسفار المصيف فى الحر المشتى فى الصر وهو القائل فى تسبيحه ودعائه : سبحان خالق البحار والقفار ، سبحان مرسى الجبال ومجرى الانهار ، سبحان مولج الليل فى النهار ، سبحان مقدر الآجال والارزاق بمقدار ، سبحان من هو الصاحب فى الاسفار ، سبحان من هو الخليفة على الاهل والديار ، ثم يقول : ذهبنا فى البلاد ورأينا العباد ورجعنا الى موضع الميلاد ونُجينا بعد السفاد وصلحنا بعد الفساد فللّه الحمد رب العباد وهو الكريم الجواد .

وأما الكركي الحارس فهو ذاك الشخص القائم فى الصحراء الطويل الرقبة والرجلين القصير الذنب الوافر الجناحين وهو الذاهب فى طيرانه فى الجو صفّين الحارس بالليل نوبتَيْن القائل فى تسبيحه : سبحان مسخر النيرَيْن سبحان مارج البحرين ، سبحان ربّ المشرقين الخالق من كل شيء زوجين اثنين .

وأما القطا الكدري فهو ساكن البرارى والقفار وهو البعيد الورود الى الانهار المسافر بالليل والنهار الكثير التذكار القائل فى غدوه ورواحه وورده وصدوره : سبحان خالق السموات المسموكات ، سبحان خالق الارضين المدحوات ، سبحان خالق الافلاك الدائرات ، سبحان خالق البروج الطالعات ، سبحان خالق الكواكب السيارات ، سبحان مرسل الرياح الذاريات ، سبحان منشئ السحب الممطرات ، سبحان رب الرعود

المسبحات ، سبحان رب البروق اللامعات ، سبحان رب البحور الزاخرات ، سبحان مرسى الجبال الشامخات ، سبحان مدبر الليل والنهار والاوقات ، سبحان منشئ الحيوان والنبات ، سبحان خالق النور والظلمات ، سبحان بارئ الخلائق فى البحار والفلوات ، سبحان من يحيي العظام الرفات الدارسات الباليات بعد الممات ، سبحان من يكلّ الالسن عن حمده ووصفه بكنه الصفات الذى جل ذاته عن الذوات .

وأما الطيطوى الميمون فهو ذلك الواقف على المسنّاة الابيض الخدين الطويل الرجلين الذكى الخفيف الروح وهو المحذّر للطيور فى الليل واوقات الغفلات المبشر بالرُّخص والبركات . وهو القائل فى تسبيحه :

يا فالقَ الاصباح والانوارِ ومرسلَ الرياح فى القفارِ
ومنشئ السحاب ذي الامطار ومجري السيول والانهارِ
فى الديار
ومنبت العشب مع الاشجار ومخرج الحبوب والثمارِ
فاستبشروا يا معشر الاطيار بسعة الرزق من الغفارِ
الكريم الستار

وأما الهزار الكثير الالحان فهو ذاك القاعد على غصن الشجرة الصغير الجثة الخفيف الحركة الطيب النغمة وهو القائل فى غنائه وألحانه : الحمد لله ذي القدرة والاحسان ، الواحد الفرد ذى الغفران ، يا منعماً مفضلا فى السر والاعلان ، كم من نعمة شاملة يمنها الرحمن ، تفيض كالبحار فى الجريان على الانسان ،

يا طيب عيش كان فى الازمان بين رياض الرَوْح والريحان
وسط البساتين مع الاغصان مثمرة الاشجار بالالوان
لو أنني ساعدنى اخوانى ذاكرتهم بكثرة الالحان
* الحسان *

قال الشاهمرغ للطاؤس : من ترى يصلح من هؤلاء أن نبعثه الى هناك ليناظر مع الانس وينوب عن الجماعة ؟ — قال الطاؤس : كلهم يصلح لذلك لانهم كلهم فصحاء خطباء شعراء غير ان الهزار افصح لساناً وأجود بياناً واطيب ألحاناً ونغمة . فأمره الشاهمرغ وقال له : سر وتوكل على الله فانه نعم المولى ونعم النصير .

ولما وصل الرسول الى ملك الحشرات وهو اليعسوب امير النحل وعرَّفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت الحشرات من الزنابير والذبان والبق والجرجس والجعلان والذراريح وانواع الفراش والجراد وبالجملة كل حيوان صغير الجثة يطير بأجنحة ليس له ريش ولا عظم ولا صوف ولا وبر ولا شعر ولا يعيش منها سنة كاملة غير النحل لانها يهلكها البرد المفرط والحر المفرط شتاءً وصيفاً ثم انه عرَّفها الخبر وقال : ايكم يذهب الى هناك فينوب عن الجماعة فى مناظرة الانس ؟ — قالت الجماعة : وبماذا يفتخر الانس علينا ؟ . قال الرسول : بكبر الجثة وعظم الخلقة وشدَّة القوة والقهر والغلبة . قال زعيم الزنابير : نحن نمرّ الى هناك . وقال زعيم الجراد : نحن نمرّ .

ثم قال الملك : ما لى أرى كل طائفة منكم قد بادرت الى المراد من

غير فكرة ولا روية فى هذا الامر ؟ . قالت جماعة البقّة : نعم ايها الملك لولا الثقة بنصر الله واليقين بالظفر بقوة الله وعزته لما تقدمت التجربة فيما مضى من الدهور السالفة والامم الخالية والملوك الجبابرة . قال الملك : كيف كان ذلك خبرونى ؟ . قالت البقة : أيها الملك أليس اصغرنا جثةً واضعفنا بنيةً قتل نمرود اكبر ملوك بنى آدم واطغاهم واعظمهم سلطاناً واشدهم صولة وتكبراً . قال : صدقت . قال الزنبور : أليس اذا لبس احد من بنى آدم سلاحه الشاك واخذ بيده سيفه ورمحه او سكينه او نشابه يتقدم واحد منا فيلسعه بحمة مثل رأس ابرة فيشغله عن كل ما اراد وعزم عليه ويتورم جلده وتوهن اعضاؤه حتى لا يقدر على الحراك ولا يقدر أن يقبض على سيفه او ترسه . قال : صدقت . قال الذباب : أليس ايها الملك ان اعظمهم سلطاناً واشدهم هيبةً وارفعهم مكاناً اذا قعد على سرير ملكه ويقوم الحجَاب دونه شفقةً عليه أن يناله مكروهٌ وأذية فيجيء احدنا من مطبخه او كنيفه ملوّث اليدين والجناحين فيقعد على ثيابه وعلى وجهه يؤذيه ، ولا يقدرون على الاحتراز منا . قال صدقت . قالت الحَرَشَة : أليس اذا قعد احدهم فى مجلسه ودسته وسريره وحجابه وكلَله المنصوبة فيجيء احدنا فيدخل فى ثيابه فيقرضه ويزعجه من سكونه واذا اراد أن يبطش بنا صفع نفسه بيده واطم خدّه بكفه وينفلت منه ؟ — قال صدقتم يا معشر الحشرات ، ولكن ليس فى مجلس ملك الجن يمشى الامر بشيء مما ذكرتم انما الامر هناك بالعدل والانصاف والادب ودقة النظر وجودة التميز والاحتجاج بالفصاحة والبيان فى المناظرة فهل عندكم منها

شيء ؟ فأطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال الملك . ثم جاء حكيم من حكماء النحل فقال : أنا اقوم بهذا الامر بعون الله ومشيئه . قال الملك والجماعة : خار الله لك فيما عزمت عليه ونصرك وأظفرك على خصمائك ومن يريد غلبتك وعداوتك . ثم ودعهم وتزود ورحل حتى قدم على ملك الجن وحضر المجلس مع من حضر من غيره من سائر اصناف الحيوانات .

ولما وصل الرسول الى ملك الجوارح وهو العنقاء وعرّفه الخبر فنادى مناديه فاجتمعت عنده اصناف الجوارح من النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحدأة والرخم والبوم والببغا وكل ذى مخلب مقوّس المنقار يأكل اللحم . ثم عرّفها ما بلّغه الرسول من اجتماع الحيوانات بحضرة ملك الجن للمناظرة مع الانس ، ثم قال لوزيره شنقار: أترى من يصلح لهذا الامر من هذه الجوارح حتى نبعثه الى هناك لينوب عن جماعة ابناء جنسه بالمناظرة مع الآدميين ؟ — قال الوزير : ليس فيها احد يصلح لهذا الامر غير البوم . قال الملك : ولِمَ ذلك ؟ قال لأن هذه الجوارح كلها تنفر من الناس وتفزع منهم ولا تفهم كلامهم ولا تحسن أن تخالطهم وتجاوبهم فأما البوم فانه قريب المجاورة لهم فى ديارهم العافية ومنازلهم الدارسة وقصورهم الخربة وينظر الى آثارهم القديمة ويعتبر بالقرون الماضية وفيه مع ذلك كله من الورع والزهد والخضوع والتقنع والتقشف ما ليس لغيره ويصوم بالنهار ويبكى ويعبد بالليل وربما يعظ بنى آدم ويذكّرهم وينوح على ملوكهم الماضين والأمم السالفة وينشد أبياتاً من

راثى فيقول :

أين القرون الماضيه تركوا المنازل خاويه
جمعوا الكنوز وقدخلَوْا تركوا الكنوز كما هيه

وقال :

ألا يا دار ويحك خبرينا لما ذا صار أهلك يهجرونا
فما نطقت ولو نطقت لقالت لأنك قد بقيت وقد بلينا

وقال :

سألت الدار تخبرنى عن الاحباب ما فعلوا
فقالت لى أقام القو مْ أياماً وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم وأي منازل نزلوا
فقالت فى القبور لقد لقوا والله ما عملوا

وقال :

فى الذاهبين الاولـ ين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموتِ ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضى الاصاغرْ والاكابر
لا يرجع الماضي اليْ ى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا لةَ حيث صارَ القومْ صائر

وقال :

نام الخَلِيُّ ولا احس رقادى والهمُّ محتضر بجنب وسادى
لا السقم عارضى ولكن حل بى همٌ أراه قد اصاب فؤادى

أين الملوك الاوّلون وقد غدَوْا بين العُذَيب وبين ذى افراد
ما ذا أُؤمل بعـد آل محرّق دُرِست منازلهم وبعـد إياد
أهل الخَوَرْنق والسدير وبارق والقصرِ ذى الشرفاتِ من شداد
ارض تخيرهـا لطيب مقيلها كعبٌ وطيٌّ وابن أُم وادِ
ولقد نموا فيها بأطيب عيشة فى بسط ملك ثابت الأوتاد
جرتِ الرياح على عراص ديارهم فكأنهم كانوا على ميعـاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير الى بلى ونفـاد

ثم يقرأ : « كم تركوا من جناتٍ وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين » . قال العنقاء للبوم : ما يقول فيما قال الشنقار ؟ . قال : صدق فيما قال ولكن لا أتمكن من المصير الى هناك . قال العنقاء : ولِمَ ذاك ؟ . قال البوم : لأن بنى آدم يبغضوننى ويتطيرون برؤيتى ويشتموننى من غير ذنب سبق منى اليهم ولا أذية تنالهم من جهتى فكيف اذا رأونى وقد اظهرتُ لهم الخلاف ونازعتهم فى الكلام والمناظرة وهى ضرب من الخصومة والخصومة تنتج العداوة والعداوة تدعو الى المحاربة والمحاربة تخرّب الديار وتهلك اهلها . قال العنقاء للبوم : فمن ترى يصلح لهذا الامر قال البوم : ان ملوك بنى آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويعظمونها ويحملونها على ايديهم يمسحونها بأكمامهم فلو بعث الملك بواحد منهم اليهم لكان صوابا

قال العنقاء للجماعة : قد سمعتم ما قال البوم فأي شيء عندكم ؟ —

قال البازى : صدق البوم فيما قال ، ولكن ليس كرامتنا من بنى آدم لقرابة بيننا وبينهم ولا علم ولا ادب يجدونه عندنا ولكن لانهم يشاركوننا فى معيشتنا ويأخذون من مكاسبنا ، كل ذلك حرصاً منهم وشرهاً واتباعاً للشهواتِ واللعب والبَطر والفضول لا يشتغلون بما هو واجب عليهم من اصلاح امورهم ومعادهم وما هو لازم عليهم من الطاعة لله تعالى وما هم يُسألون يوم القيامة عنه . فقال العنقاء للبازي : فَمَن ترى يصلح لهذا الامر؟ قال البازى : أظن ان الببغاء يصلح لهذا الامر لأن بنى آدم يحبونه ملوكُهم وخواصهم وعوامهم ونساؤهم ورجالهم وصبيانهم وعلماؤهم وجهالهم ويكلمهم ويكلمونه ويستمعون منه ما يقوله ويحاكيهم فى كلامهم واقاويلهم . فقال العنقاء للببغاء : ما تقول فيما قال البازى ؟ قال : صدقَ فيما قال . وأنا أذهب الى هناك سمعاً وطاعةً وأنوب عن الجماعة بعون الله وحوله وقوته ولكنى محتاج الى المعاونة من الملك والجماعة . قال له العنقاء : ماذا تريد ؟ قال : الدعاء الى الله والسؤال منه بالنصر والتأييد . فدعا له الملك بالنصر والتأييد وأمَّنت الجماعة . ثم قال البوم : ايها الملك ان الدعاء اذا لم يكن مستجاباً فعناء وتعب ونصب بلا فائدة لأن الدعاء لقاح والاجابة نتيجة فاذا لم يكن الدعاء مع شرائطه فلا يجاب ولا ينتج

قال الملك : وما شرائط الدعاء المستجاب ؟ قال : النية الصادقة واخلاص القلوب كالمضطرّ وأن يتقدمه الصوم والصلاة والصدقة والقربان والبر والمعروف . قالت الجماعة : صدقت وبررتَ فيما قلت ايها الزاهد الحكيم العابد . ثم قال العنقاء للجماعة الحضور من الجوارح : أما ترون

معشر الطير ما ذفعنا اليه من جور بني آدم وتعديهم على الحيوانات حتى بلغ الامر الينا مع بعد ديارنا منهم ومجانبتنا اياهم وتركنا مداخلتهم أنا مع عظم خلقي وشدة قوتي وسرعة طيراني تركت ديارهم وهربت منهم الى الجزائر والبحار والجبال وهكذا اخي الشنقار لزم البراري والقفار وبَعُدَ عن ديارهم طلباً للسلامة من شرهم ، ثم لم تخاص منهم حتى اخرجونا الى المناظرة والمحاجّةِ والمحاكمة . ولو اراد واحد منا أن يختطف كل يوم عدداً كثيراً لكُنا قادرين عليهم ، ولكن ليس من شيم الاحرار مجازاة الاشرار وأن يعاملوهم ويكافئوهم على سوء افعالهم بل يتركونهم ويبعدون منهم ويكلون امرهم الى ربهم ويشتغلون بمصالحهم وما يجدي النفعَ وراحةَ القلب في المعاد . ثم قال العنقاء : وكم مركب في البحر طرحته الرياح العاصفة الى اللجج الغامرة فهديتهم الى الطريق ، وكم غريق كسرتِ العواصف مركبه في البحر فأنجيته الى السواحل والجزائر ، وكل ذلك طلباً لمرضاة ربي وشكراً لنعمه التي اعطاني الله عز وجل من عظم الخلقة وكبر الجثة والشكر له على احسانه اليَّ وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين .

ولما وصل الرسولُ الى ملك حيوان البحر وهو التِّنِّين وعرَّفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت عنده اصناف الحيوانات البحريَة من التنانين والكواسج والتماسيح والدلافين والحيتان والسموك والسراطين والكراريك والسلاحف والضفادع وذوات الاصداف والفلوس وهو نحو من سبعمائة صورة مختلفة الاشكال والالوان فعرَّفها الخبر وما قاله الرسول . ثم قال التنين للرسول : بما ذا يفتخر بنو آدم على غيرهم : أ بكبر الجثة او بالشدة والقوة

او بالقهر والغلبة ؟ فان كان افتخارهم بواحدة منها ذهبت الى هناك ونفخت فيهم نفخةً واحدةً واحرقتهم من أولهم الى آخرهم ثم جذبتهم برجوع نفسى وبلعتهم كلهم . فقال : ليس يفتخر بنو آدم بشيء من هذه ، ولكن برجحان العقول وفنون العلوم وغرائب الآداب ولطائف الحِيَل ودقة الصنائع والفكر والتمييز والروية وذكاء النفوس .

قال التنين : صف لى شيئاً منها لأعلمه . قال : نعم أيها الملك ألست تعلم ان بنى آدم ينزلون بحيلهم وعلومهم الى قعور البحور الزاخرة المظلمة الكثيرة الامواج ليخرجوا من هناك الجواهر من الدرّ والمَرْجان ؟ وهكذا يعملون بالعلم والحيلة ويصعدون الى رؤس الجبال الشامخة فينْزلون منها النسور والعقبان ؛ وهكذا بالعلم والحيلة يعملون العجَلَ من الخشب فيشدونها فى صدور الثيران واكتافها ثم يحملون عليها الاحمال الثقيلة وينقلونها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ويقطعون البرارى والقفار ؛ وهكذا بالعلم والحيلة يصنعون السفن والمراكب يحملون فيها الامتعة والاثقال ويقطعون بها سعة البحار البعيدة الاقطار ؛ وهكذا بالعلم والحيلة يدخلون فى كهوف الجبال ومغارات التلال وعمق الارض فيخرجون منها الجواهر المعدنية من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها ؛ وهكذا بالعلم والحيلة اذا نصب احدهم على ساحل بحر اوشفا جرف او مشرعة نهر طِلسَماً او صنماً فلا يقدر عشرة آلاف منكم معاشر التنانين والكواسج أن يجتازوا هناك او يقربوا ذلك المكان ؛ ولكن ابشر أيها الملك فانه ليس بحضرة ملك الجن الا العدلُ والانصافُ فى الحكومة والحجةُ

والبينة لا القهر والغلبة والمكر والحيلة .

فلما سمع التنين مقالة الرسول قال لمن حوله من جنوده : ألا تسمعون وماذا ترون وأيُّ شيء تفعلونه وأيكم يذهب فيناظر الانس وينوب عن الجماعة من اخوانه وابناء جنسه ؟ قال الدُّلفين منجي الغَرْقى : ان أولى حيوان البحر بهذا الامر الحوتُ لانه اعظمها خلقةً واكبرها جثةً واحسنها صورة وأنظفها بشرةً وأنقاها بياضاً واماسها بدناً واسرعها حركةً واشدها سباحة واكثرها عدداً ونتاجاً حتى أنه قد امتلأت منه البحار والانهارُ والبطائح والعيون والجداولُ والسواقي صغاراً وكباراً . وللحوت ايضا يدٌ بيضاء عند بنى آدم حين أجار نبياً منهم وآواه فى بطنه وردَّهُ الى مأمنه .

قال التنّين للحوت : ما ذا ترى فيما قال الدلفين ؟ قال : صدق فى كل ما ذكر ولكن لا أدرى كيف أذهب الى هناك وكيف اخاطبهم وليس لى رجلان أمشى بهما ولا لسان ناطقٌ اتكلم به ولا صبر لى عن الماء ساعةً واحدةً ولا على العطش ، ولكن أرى ان السلحفاة يصلح لهذا الامر لأنه يصبر عن الماء ويرعى فى البر ويعيش فى البحر ويتنفس فى الهواء كما يتنفس فى الماء وهو مع هذا قويٌّ البدن صلب الظهر جيّد الحس حليم وقورٌ صبورٌ على الاذى متحمل الاثقال . قال التنّين للسلحفاة : ما ذا ترى فيما قال وأشار اليك ؟ قال : صدق ولكن لا أصلح لهذا الامر لانى ثقيل الرجل عند المشى والطريق بعيد وانا قليل الكلام أخرس ولكن أرى انما يصلح له الدلفين أيها الملك لانه اقوى على المشى واقدر على الكلام :

فقال التنّين للدلفين ما ذا ترى ؟ قال الدلفين : بل السّرطان أولى بهذا لانه كثير الارجل جيّد المشى سريع العدو حادُّ المخاب شديد العض ذو منشارٍ واظفارٍ حدادٍ صلب الظهر مقاتل متدرّع . فقال التنّين للسّرطان : ما ذا ترى فيما ذكر الدلفين ؟ فقال : صدق فيما قال ، ولكن كيف أذهب الى هناك مع عيب خلقتى وتعوُّج صورتى أخاف أن أكون سخرةً . قال التنّين : لمَ ذلك ؟ قال لانهم يرون حيواناً بلا رأس عيناه على كتفه وفمه فى صدره وفكاه مشقوقان من جانبيه وله ثمانية أرجل مقوّسةٍ معوجّةٍ ويمشى على جانبٍ وظهره كأنه من رصاص ، قال التنّين: صدقت فمن يصلح ان يتوجه الى هناك ؟ قال السّرطان أظن أن التمساح يصلح لهذا الامر لانه قوىُّ الارجل طويل الخلق كثيرالمشى سريع العدو واسع الفم طويل اللسان كثير الاسنان قوىُّ البدن هيوب المنظر سديد الرصد لمطلبه غوّاص فى الماء قوىٌّ فى الطاب . قال التنّين للتمساح : ما ترى فيما قال السّرطان ؟ قال صدق ولكن لا اصلح لهذا الامر لانى غضوبٌ ضجورٌ وثّاب مختلس فرَارٌ غدّار .

فقال الرسول : ان هذا الامر ليس بالقهر والغلبة ولكن بالحلم والوقار والعقل والبيان والتميز والفصاحة والعدل والانصافِ فى الخطاب . قال التمساح : لست أتعاطى شيئاً من هذه الخصال ، ولكني ارى ان الضفدع يصلح لهذا الامر لأنهُ حليم وَقورٌ صبور ورع كثيرالتسبيح بالليل والنهار وفى الاسحار كثيرالصلاة والدعاء بالعشيّ والغدَوَات ، وهو يداخل بنى آدم فى منازلهم وله عند بنى اسرائيل يدٌ بيضاء مرتين احداهما يوم طَرَح نمرود

ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام فى النار فانه كان ينقلُ الماءَ بفيه فيصبّه فى النار ليطفئها ، ومرةً اخرى أنه كان فى ايام موسى بن عمران معاوِناً له على فرعون وملإِهِ ، وهو ايضاً مع هذا فصيح اللسان كثير الكلام والتسبيح والتكبير والتهليل ، وهو من الحيوان الذى يعيش ويأوى فى البر والبحر ويحسن المشْيَ والسباحة جميعاً ، وله ايضاً رأسٌ مُدَوَّرٌ ووجه غير مقبَّع وعينان براقتان وذراعان وكفّان مبسوطتان ويمشى متخطياً متقعراً ويدخل منازل بنى آدم ولا يخافون منه .

قال التنين للضفدع : ما ذا ترى فيما ذكره التمساح ؟ قال : صدقَ وأنا امرٌّ الى هناك سمعاً وطاعةً للملك وانوب عن الجماعة من اخواننا من حيوان الماء اجمعَ ، ولكن أُريد من الملك ان يدعوَ الله لى بالنصر والتأييد لأن دعوات الملوك فى حق الرعية مستجابة . فدعا له الملك والجماعة بأجمعهم امَّنُوا بالنصر والتأييد وَوَدَّعوه فرحل عنهم وقدم على ملك الجن .

فى بيان شفقة الثعبان على الهوام ورحمته لهم

ولما وصل الرسولُ الى ملك الهوام وهو الثعبان وعرّفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت اليه أجناس الهوام من الحيّات والأفاعى والجرارات والعقارب والدحاسات والضب وسامّ ابرص والحرابىّ والعظايات والخنافس وبنات وردان والعناكب وفهد الذباب والقمل والجنادب والبراغيث وانواع

النمل والقراد والصراصر وأصناف الديدان مما يتكون فى العفونات اويدب على ورق الشجر او يتكون فى لب الحبوب وقلوب الشجر وفى جوف الحيوانات الكبار والأرضة والسوس وما يتولد فى السرقين أو الطين او فى الخل او فى الثلج او فى ثمر الشجر ومايدبُّ فى المغارات والظلمات والأهوية فاجتمعت كلها عند ملكها لا يحصى عددها الاّ الله عز وجل الذى خلقها وصوَّرها ورزقها ويعلم مستقرها ومستودعها . فلما نظر ملكها اليها من عجائب الصور وأصناف الاشكال بقِيَ متعجباً منها ساعةً طويلةً ثم فتشها فاذا هى اكثر الحيوانات عدداً وأصغرُها جثة واضعفها بنية وأقلها حيلة وحواساً وشعوراً فبقىَ متفكراً فى أمرها ثم قال الثعبان لوزيره الأفعى : هل ترى من يصلح من هذه الطوائف ان نبعثه الى هناك للمناظرة ، فانَّ اكثرها صمٌّ بكمٌ عميٌ خرس جسم بلا رجلين ولا يدين ولا جناحين ولا منقار ولا مخاب ولا ريش على ابدانها ولا شعر ولا وبر ولا صوف ولا فلوس ، وان اكثرها حفاة عراة حسرى ضعفاء فقراء مساكين بلا حيلة ولا حول ولا قوّة فادركته رحمة عليها وتحنن وشفقة ورأفة ورقَّ قلبه عليه ودمعت عيناه من الحزن ثم نظر الى السماء وقال فى دعائه : يا خالق الخلق ، ويا باسط الرزق ، ويا مدبر الامور . ويا ارحم الراحمين ، ويا من هو يسمع ويرى . ويا من يعلم السرَّ واخفى انت خالقها ورازقها ومحييها ومميتها كن انا ولياً حافظاً وناصراً ومعيناً وهادياً ومرشداً يا ارحم الراحمين . فنطقت كلها من لسان فصيح : آمين ربَّ العالمين .

في بيان خطبة الصرصر وحكمته

فلما رأى الصّرصر ما اصاب الثعبان من التحنن والرحمة والرأفة على رعيته وجنوده واعوانه من ابناء جنسه ارتقى الى حائط بالقرب وحرّك اوتاره وزمّرَ بمزماره وترنم بأصواتٍ وألحان ونغماتٍ لذيذة بالتحميد لله والتوحيد له . فقال : الحمدُ للهِ نحمَدَه ونستعينه ونشكره على نعمائه السابغة وآلائه الدائمة . فسبحان الله الحنان المنان الديّان . هو سبُّوحٌ قدُّوسٌ رب الملائكة والروح الحيُّ القيوم ذوالجلال والاكرام والاسماء العظام والآيات والبرهان . كان قبل الاماكن والازمان والجواهر ذواتِ الكيان . لا سماءَ فوقه ولا ارض تحته . محتجب بنوره متوحد بوحدانيته واسرار غيبه حيث لا سماء مبنية ولا ارض مدحية ، ثم قضى ودبر كما شاء قدّر فأبدع نوراً بسيطاً لا من هيُولَى متهيئة ولا من صورة متوهمة ، بل قال كن فكان . وهو العقل الفعّال ذوالعلم والاسرار ، خلقه لا لوحشة كان في وَحدته ولا لاستعانة على امر من الامور ، ولكن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا معقّبَ لحكمه ولا مردّ لقضائه وهو السريع الحساب . ثم قال : ايها الملك المشفق الرحيم الرؤفُ المتحنن على هذه الطوائف لا يغمنَك ما ترى من ضعف ابدان هذه الطوائف وَصِغر جثتها وعزْبها وفقرها وقلة حيلها فان الله تعالى هو خالقها ورازقها وهو أرأفُ وأرحم بها من الوالده الرحيمة المشفقة على

ولدها ومن الاب الرحيم المشفق على اولاده . وذلك أن الخالق تعالى لما خلق الحيوانات مختلفة الصور متفننة الاشكال ورتبها على منازل شتى ما بين كبير الجثة وعظيم الخلقة وشديد القوة وقويّ البنية وما بين صغير الجثة وضعيف البنية وقليل الحيلة ساوى بينها فى المواهب الجزيلة وهي الآلات والأدوات التى تتناول بها المنافع وتدفع بها المضارّ فصارت متكافئة فى العطية : مثال ذلك انه لما أعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية القوية الشديدة يدفع بها عن نفسه مكاره السباع بانيابها الطوال الصلاب ويتناول بخرطومه الطويل المنافع أعطى ايضاً البقة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية عوضاً من ذلك الجناحين اللطيفين وسرعة الطيران فتنجو من المكاره وتتناول الغذاء بخرطومها فصار الصغير والكبير فى هذه المواهب التى يجر بها المنفعة ويدفع بها المضرّة متساوية . وهكذا يفعل الخالق البارئ المصوّر بهذه الطوائف الضعفاء الفقراء الذين تراهم حفاة عراة حسرى وذلك ان البارئ تعالى لما خلقها على هذه الاحوال التى تراها كفاها امر مصالحها من جرّ منافعها اليها ودفع المضارّ عنها .

فانظر أيها الملك وتأمل واعتبر احوالها فانك ترى ما كان اصغر جثة منها واضعف بنية واقل حيلة كان أرْوَحَ بدناً واربط جأشاً واسكن روعاً فى دفع المكاره من غيرها ، وكان اطيب نفساً واقل اضطراباً فى طلب المعاش وجرّ المنافع واخف مؤنة مما هو اعظم جثة واقوى بنية واكثر حيلة : بيان ذلك انك اذا تأملت وجدت الكبار منها القوية البنية الشديدة القوة تدفع عن انفسها المكاره بالقهر والغلبة والقوة والجلد

كالسباع والفيلة والجواميس وامثالها وسائر الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة الخلقة الشديدة القوّة ، ومنها ما تدفع عن نفسها المكاره والضرر بالفرار والهرب وسرعة العدو كالغزلان والارانب وغيرها من حمير الوحش ، ومنها بالطيران فى الجوّ كالطيور ، ومنها بالغوص فى الماء والسباحة فيه كحيوانات الماء ، ومنها ما تدفع المكاره والمضارّ بالتحصّن والاختفاء فى الاحجرة والثقب مثل النمل والفار كما قال الله تعالى حكاية عن النملة: « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » ، ومنها ما قد البسه الله تعالى من الجلود الثخينة الخزفية كالسلحفاة والسرطان والحلزون وذوات الاصداف من حيوان البحر ، ومنها ما يدفع المكاره والضرر عن انفسها بادخال رؤسها تحت اذنابها كالقنفذ . واما فنون تصاريفها فى طلب المعاش والمنافع فمنها ما يصل اليه ويهتدى بجودة النظر وشدة الطيران كالنسور والعقبان ، ومنها بجودة الشم كالنمل والجعلان والخنافس وغيرها ، ومنها ما يهتدى ويصل اليه بجودة الاستماع للاصوات كالنسر ، ومنها ما يهتدى بجودة الذوق كالسمك وغيره من حيوان الماء .

ولما منع الحكيم هذه الطوائف والحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنية القليلة الحيلة عن هذه الآلات والادوات والحواس وجودتها لطف بها وكفاها مؤنة الطلب واسباب الهرب والاختفاء وذلك انه جعلها فى مواضع كنينة واماكن حريزة إما فى النبات او فى حب النبات او فى اجواف الحيوانات او فى الطين او الـ رقين وجعل غذاءها محيطاً بها ومـوادها

من حواليها وجعل فى ابدانها قوى جاذبة يمتص بها الرطوبات المغذية لابدانها المقوّمة لاجسادها ولم يحوجها الى الطلب والى الهرب كالخراطين والديدان فمن اجل هذا لم يخلق لها رجلين يُمشى بهما ولا يدين يُتناول بهما ولا فماً يُفتح ولا اسناناً تمضغ ولا حلقوماً يبلع ولا مريئاً يزدرد ولا حوصلة تنقع ولا قانصة ولا معدةً ولا كرشاً ينضج الكيموس فيها ولا امعاءولا مصارين للثفل ولا كبداً يصفى الدم ولا طحالاً يجذب الكيموس الغليظ من السوداء ولا مرارة يجذب اللطيف من الصفراء ولا كليتين ولا مثانةً يجذب البول ولا اوردةً يجرى الدم فيها ولا شرايين للنبض ولا اعصاباً من الدماغ للحس ولا يعرض لها الامراض المزمنة ولا الاعلال المؤلمة ولا تحتاج الى دواء ولا علاج ولا يعرض لها شىء من الآفات التى تعرض للحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية الشديدة القوّة فسبحان الخالق الحكيم الذى كفاها هذه المطالب وهذه المؤن واراحها من التعب والنصب فللّه الحمد والمنّ والشكر على جزيل مواهبه وعظيم نعمائه وجزيل آلائه .

فلما فرغ الصرصر من هذه الخطبة قال له الثعبان ملك الهوامّ : بارك الله فيك من خطيبٍ ما أفصحك ومن مذكّرٍ ما اعلمك ومن واعظٍ ما ابلغك والحمد لله الذى جعل لهذه الطائفة مثل هذا الحكيم الفاضل المتكلم الفصيح . ثم قال له الثعبان : أتمضى الى هناك لتنوب عن الجماعة فى المناظرة مع الانس ؛ قال : نعم سمعاً وطاعةً للملك ونصيحةً للاخوان . قالت الحيّة عند ذلك : لا تذكر عندهم انك رسول الثعبان والحيّات .

قال الصرصر : لمَ ؟ قالت : لان بين بنى آدم وبين الحيّات عداوةً قديمة وحقداً كامناً لا يقدّر قدره حتى ان كثيراً من الانس يعترضون على ربهم عزّ وجلّ فيقولون له لمَ خلقها فانه ليس فى خلقها منفعةٌ ولا فائدةٌ ولا حكمةٌ بل كله ضررٌ . قال الصرصر : ولمَ يقولون ذلك ؟ قالت : من اجل السمّ الذى بين فكيها فانهم يقولون انه ليس فيها منفعةٌ الا الهلاك للحيوانات وموتها ، كل ذلك جهل منهم بمعرفة حقائق الاشياء ومنافعها ومضارّها . ثم قالت : لا جرم ان الله تعالى ابتلاهم بها وعاقبهم على ذلك حتى احوج ملوكهم الى اختبائها تحت فصوص الخواتم لوقت الحاجة فلو انهم فكروا واعتبروا احوال الحيوانات وتصاريف امورها لتبين لهم ذلك وعرفوا عظيم منفعة السموم فى فكوك الافاعى وما قالوا لمَ خلقها الله عزّ وجلّ وما الفائدة فيها . ولو عرفوا ذلك لما قالوا ولما اعترضوا على ربهم فى احكام مصنوعاته لان البارى تعالى وان خلق السمّ سبب هلاك الحيوانات فى بزاقها لكن جعل لحومها سبباً لدفع تلك السموم . ثم قال الصرصر : اذكر أيها الحكيم فائدة أخرى وعرّفنا لنكون على علم منها . قالت الحيّة : نعم أيها الخطيب الفاضل ان البارى الحكيم لما خلق هذه الحيوانات التى ذكرتها فى خطبتك وقلت انه اعطى كل جنس الآلات والادوات ليجر المنفعة فأعطى بعضها معدة حارةً او كرشاً او قانصة لهضم الكيموس فيها بعد مضغ شديد ويصير غذاءً لها ولم يعط للحيّات لا معدةً حارةً ولا قانصة ولا كرشاً ولا اضراساً تمضغ اللحمان بل جعل فى فكها عوضاً عنها سماً حارّاً منضجاً لما تأكل من اللحمان وذلك انها اذا قبضت على جثث

الحيوانات وجعلتها بين فكيها افاضت من ذلك السمّ عليها اتهزلها من ساعتها وتبتلعها وتزدردها من ساعتها وتستمرئها فلو لم يخلق لها هذا السمّ لما استوى لها أكل ولا حصل لها غذاء ولماتت جوعاً وهلكت عن آخرها وما بقي منها ديّار .

فقال الصرصر : لعمري لقد تبين لى منفعتها فما منفعة الحيّات للحيوانات وما الفائدة فى خلقها وكونها فى الارض بين الهوام ؟ قالت : كمنفعة السباع للوحوش والانعام وكمنفعة التنين والكواسج فى البحر وكمنفعة النسور والعقبان والجوارح بين الطيور . قال الصرصر : زدنى بياناً . قال : نعم ان الله تعالى أبدع الخلق واخترعه بقدرته ودبر الامور بمشيئته فجعل قوام الخلائق بعضها ببعض وجعل لها عللاً واسباباً لما رأى فيها من اتقان الحكمة وصلاح الكل ونفع العام ولكن ربما يعرض من جهة العلل والاسباب آفات وفساد لبعضهم لا نقصد من الخالق تعمداً ولكن لعلمه السابق بما يكون قبل ان يكون ولم يمنع علمه بما يكون فيها من الفساد والآفات ان لا يخلقها اذا كان النفع منها أعمّ والصلاح اكثر من الفساد : بيان ذلك ان الله تعالى لما خلق الشمس والقمر وسائر كواكب الفلك جعل الشمس سراجاً للعالم وحياةً وسبباً للكائنات بحرارتها ، ومحلها من العالم محل القلب من البدن فكما ان من القلب تنبعث الحرارة الغريزية الى سائر اطراف البدن التى هي سبب الحياة وصلاح الجملة كذلك حكم الشمس وحرارتها فانها حياة وصلاح للكل والنفع للعامّ ولكن ربما يعرض منها تلف وفساد لبعض الحيوانات والنبات ولكن بكون ذلك

معفواً من حيث النفع العميم وصلاح الكل

وهكذا حكم زحل والمرّيخ وسائر الكواكب فى الفلك خلقها لصلاح العالم والنفع العامّ وان كان قد يعرض فى بعض الاحايين المناحس من افراط حرٍّ او بردٍ ، وهكذا حكم الامطار يرسلها الله لحياة البلاد وصلاحِ العباد من الحيوان والنبات والمعادن وان كان ربما يكون فساداً وهلاكاً لبعض الحيوانات والنبات او تخريب بيوت العجائز بالسيول فهكذا حكم الحيّات والسباع والتنين والتمساح والهوامّ والحشرات والعقارب والجرّارات : كل ذلك يخلقها الله تعالى من المواد الفاسدة والعفونات الكائنة ليصفو الجوّ والهواء منها لئلا يعرض لها الفساد من البخارات الفاسدة المتصاعدة فيعفن فيكون اسباباً للوباء وهلاك الحيوانات كلها دفعة واحدة :

بيان ذلك ان الديدان والذبان والبق والخنافس لا تكون فى دكان البزّاز والنجار والحداد بل اكثر ذلك يكون فى دكان القصّاب واللبان او الدباس او السمّان او السماك او فى السرقين واذا خلق الله تعالى من تلك العفونات امتصت ما فيها واغتذت بها فصفا الهواء منها وسلم من الوباء ثم تكون تلك الحيوانات الصغار مأكولات واغذية لما هو اكبر منها : ذلك من حكمة الخالق لانه لا يصنع شيئاً بلا نفع ولا فائدة فمن لا يعرف هذه النعم فربما يعترض على ربه فيقول لم خلقها ؟ وما النفع فيها ؟ كل ذلك جهل منه واعتراض من غير علمٍ على ربه فى احكام صنعه وتدبيره فى ربوبيته .
وقد سمعنا بان جهلة الانس يزعمون ان عناية البارى تعالى لم تتجاوز فلك القمر . فلو انهم فكروا واعتبروا أحوال الموجودات لعلموا وتبين لهم ان

العناية شاملة لصغير الجثة وكبيرها بالسوية ولما قالوا الزور والبهتان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

ولما كان من الغد ووردت زعماء الحيوانات من الآفاق وقعد الملك لفصل القضاء نادى مناد : الا من له مظلمة ، الا من له حكومة فليحضر فان الحاجات تقضى لان الملك قد جلس لفصل القضاء وحضر قضاة الجن وفقهاؤها وعدولها وحكامها وحضرت الطوائف الواردون من الآفاق من الانس والحيوانات فاصطفّت قدام الملك ودعت له بالتحية والسلام . ثم نظر الملك يمنةً ويسرة فرأى من اصناف الخلائق واختلاف الصور وفنون الاشكال والالوان والاصوات والنغمات فيها فبقي متعجباً منها ساعةً ثم التفت الى حكيم من فلاسفة الجن فقال : الا ترى الى هذه الخلائق العجيبة الشأن من خلق الرحمن ؟ قال : نعم أيها الملك أراها بعين رأسي واشاهد صانعها بعين قلبي والملك متعجب منها وانا متعجب من حكمة الصانع الحكيم الذى خلقها وصوّرها وانشأها وبراها ورباها ويرزقها ويحفظها « ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين » عنده لا لغلط ولا نسيان بل لتحقيق وبيان لانه لما احتجب عن رؤية الابصار بحجب الانوار وجلّ وعلا عن تصور الاوهام والافكار اظهر مصنوعاته الى مشاهدة الابصار واخرج ما في مكنون غيبه لى الكشف والاظهار ليدركه العيان ويستغني عن الدليل والبرهان . واعلم أيها الملك الحكيم ان هذه الصور والاشكال والهياكل والصفات التي نراها في عالم الاجسام وظواهر الاجرام هي ء الاب وانسباح واس ام الملك الصور التي في عالم

الارواح غير ان تلك نورانية شفافة وهذه ظلمانية كثيفة ومناسبة هذه الى تلك كمناسبة التصاوير التي على وجوه الالواح وسطوح الحيطان الى هذه الصور والاشكال التي عليها هذه الحيوانات من اللحم والدم والعظام والجلود لان تلك الصور التي في عالم الارواح محرّكات وهذه متحركات والتي دون هذه ساكنات صامتات وهذه محسوسات وتلك معقولات وتلك باقيات وهذه فانيات باليات زائلات فاسدات .

ثم قام حكيم الجن نخطاب فقال : الحمد لله خالق المخلوقات وبارئ البريات ومبدع المبدعات ومخترع المصنوعات ومقدّر الازمان والدهور والاوقات ومنشئ الاماكن والجهات ومدير الافلاك وموكّل الاملاك ورافع السموات المسكونات وباسط الارضين المدحيات من تحت طبقات السموات ومصوّر الخلائق ذوى الاوصاف المختلفات والالوان واللغات هو المنعم عليها بأنواع العطايا وفنون الدرايات خلق فبرأ وقدّر فهدى وأمات وأحيي وجلّ وعلا وهو القريب والبعيد قريب في الخلوات من ذوى المناجاة بعيدٌ من ادراك الحواس المدركات ، كلّت ألسن الواصفين له بكنه الصفات وتحيّرت عقول ذوى الالباب بالفكرة في جلال عظمته وعز سلطانه ووضوح آياته وبرهانه وهو الذى خلق الجان من قبل خلق آدم من نار السموم ارواحاً خفيفة واشباحاً لطيفة وصوراً عجيبةً بحركات سريعة تسبح في الجوّ كيف يشاء بلا كدّ ولا عناء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . وهو الذى خلق خلائق من الجن والانس والملائكة والحيوان اصنافاً ورتبها ونوّعها كما شاء فمنها ما هي في اعلى علّيين وهي

الملائكة المقربون وعباده المصطفون خلقهم من نور عرشه وجعل منهم حملته ومنها فى اسفل سافلين وهم مردة الشياطين واخوانهم من الكافرين المشركين والمنافقين من الجن والانس اجمعين ، ومنها مابين ذلك وهم عباده الصالحون من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات . والحمد لله الذى اكرمنا بالايمان وهدانا الى الاسلام وجعلنا خلفاء فى الارض كما ذكره فقال : « لننظر كيف تعملون » . والحمد لله الذى خص ملكنا بالحلم والعلم والاحسان وذلك من فضل الله علينا فاسمعوا له واطيعوا ان كنتم تعلمون . اقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس وهم وقوفٌ نحو سبعين رجلاً مختلفي الهيآت واللباس واللغات والالوان فرأى فيهم رجلاً معتدل القامة مستويَ البنية حسن الصورة مليح البزة لطيف الحلية صافى البشرة حلو المنظر خفيف الروح فقال للوزير : من هو ذلك ومن اين هو : قال : رجل من بلاد إيران المعروف بالعراق . قال الملك : قل له يتكلم . فأشار اليه الوزير . فقال العراقي : سمعاً وطاعةَ . فقال :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ، وصلى الله على محمد وآله اجمعين ، والحمد لله الواحد الاحد الصمد الفرد الحنان المنان ذى الجلال والاكرام الذى كان قبل الاماكن والازمان والجواهر والاكوان ذوات الكيان ، ثم ابتدأ فاخترع واخرج من مكنون غيبه نوراً ساطعاً ومن النور ناراً أجاجاً وبحراً رجراجاً وجمع بين النار والماء فكان دخاناً مورداً وزبداً ملبداً فخلق من الدخان السموات المسموكات

ومن الزبد الارضين المدحيّات. وثقلها بالجبال الراسيات. وحفر البحار الزاخرات وارسل الرياح الذاريات بتصاريفها فى الجهات . وأثار من البحار البخارات المتصاعدات . ومن الارضين الدخانات المعتكرات. وألّفَ منها الغيوم والسحب المنشآت وساقها بالرياح الى البرارى والفلوات وأنزل منها القطر والبركات . وأنبت العشب والنبات متاعاً لنا ولانعامنا ، والحمدلله «الذى خلّق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً » . و « خلق منها زوجها » ليسكن اليها «وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً » وبارك فى ذريتهما وسخّر لهم ما فى البر والبحر متاعاً الى حين ، ثم انهم بعد ذلك لميّتون ، ثم انهم يوم القيامة يبعثون ويحاسبون ويجازَوْن ما كانوا يعملون ، والحمد لله الذى خصنا بأوسط البلاد سكناً وأطيبها هواءً ونسيماً وتربة واكثرها انهاراً واشجاراً وفضّلنا على كثير ممن خلق من عباده تفضيلا . فله الحمد والمن والثناء اذ خصنا بذكاء النفوس وصفاء الاذهان ورجحان العقول فنحن بهداية الله استنبطنا العلوم الغامضة وبرحمته استخرجنا الصنائع البديعة وعمرنا البلاد وحفرنا الانهار وغرسنا الاشجار وبنينا البنيان ودبرنا الملك والسياسة وأُوتينا النبوّة والرياسة ، فمنا نوح النبي وادريس الرفيع وابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح الامين ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وصلوات الله على جميع الانبياء والمرسلين . ومنا كانت الملوك الفاضلة مثل افريدون النبطى ومَنُوجَهْر البيشدادى ودارا الكيانى واردشير بابكان الفارسى وبهرام ونوشيروان وبُزُرْجَمْهر بن بختكان الحكيم وملوك الطوائف من آل ساسان الذين شقّوا الانهار وامروا بغرس الاشجار وبناء المدن والقرى، ودبّروا

الملك والسياسة والجنود والرعية . فنحن لُبُّ الناس والناس لُبُّ الحيوان والحيوان لب النبات والنباتُ لب المعادن والمعادن لب الأركان فنحن لب الالباب فللّه الحمد وله المن وله الشكر والثناء واليه المصير بعد الهرم والموت . اقولُ قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم قال الملك لمن كان حاضراً من حكماء الجن : ما ذا تقولون فيما قال هذا الانسى من الاقاويل وما ذكر من فضائلهم وافتخر به ؟ قالوا : صدق فى كل ما قال وتكلم به غير واحد من حكماء الجن يقال له صاحب العزيمة والصرامة انه ماكان يحابى احداً اذا تكلم فأَقْبَلَ وآخذَه على خطائه وزلاله وردَّه عن غيه وضلاله فقال : يا معشر الحكماء قد ترك هذا الانسيُّ العراقى شيئاً لم يذكره فى خطبته وهو ملاك الامر وعمدته . فقال الملك : وما هو ؟ قال : لم يقل ومن عندنا خرج الطوفان فغرق ما على وجه الارض من النبات والحيوان ، وفى بلادنا اختلفت الانس وتبلبلت العقول وتحير أولو الالباب ، ومنا كان نمرود الجبار ، ونحن طرحنا ابراهيم فى النار ، ومنا كان بختنصر الذى كان محرب ايليا ومحرق التوراة وقاتل اولاد سليمان بن داود وآل اسرائيل وهو الذى طرد آل عدنان من شط الفرات الى برّ الحجاز المتمرّد الجبار القتّال السفاك الدماء . فقال الملك : كيف يقول هذا ويذكره وكله عليه لا له . فقال صاحب العزيمة : ليس من الانصاف فى الحكومة والعدل فى القضية أن يذكر احد فضائله ويفتخر بها ولا يذكر مساويه ولا يتوب ولا يعتذر عنها .

ثم ان الملك نظر الى الجماعة فرأى فيهم رجلاَ اسمر نحيف الجسم

طويل اللحية موفَّرَ الشعر موشَّحاً بازارٍ احمر على وسطه جوزيٌّ وقال : من هو ذاك ؟ قال الوزير : رجل من بلاد الهند من جزيرة سرنديب . فقال الملك للوزير : قل له يتكلم . فقال الهنديُّ : الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذى كان قبل الدهور والازمان والجواهر والاكوان ثم أنشأ بحراً من النور عجّاجاً فركَّب منه الافلاك وأدارها وصوَّر الكواكب فسيرها وقسم البروج فأطلعها وبسط الارض فأسكنها وخط الاقاليم وحفر البحار واجرى الانهار وأرسى الجبال وفسح المفاوز والفلوات واخرج النبات وكوَّن الحيوانات وخصنا بأوسط البلاد مكاناً وأعدلها زماناً حيث يكون الليل والنهار ابداً متساويين والشتاء والصيف معتدلَيْنِ والحر والبرد غير مفرطَيْنِ وجعل تربة بلادنا اكثرها معادن واشجارها طيبةً ونباتها ادويةً وحيوانها اعظم جثةً مثل الفيلة ودوحها ساجاً وقصبها قناة وعِكْرِشها خيزراناً وحصاها ياقوتاً وَزبرجداً وجعل مبدأ كون آدم ابي البشر من هناك ، وهكذا حكم سائر الحيواناتِ فان مبدأ كونها تحت خط الاستواء ، ثم ان الله تعالى خصنا وبعث من بلادنا الانبياء وجعل اكثر اهلها الحكماء وخصنا بألطف العلوم تنجيماً وسحرا وعزائم وكهانةً وتوهيماً وجعل اهل بلادنا اسرع الناس حركة وأخفَّهم وَثْباً واجسرهم على اسباب المنايا إقداماً وبالموتى تهاوناً . اقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . قال صاحب العزيمة : لو أتممتَ الخطبة وقلتَ ثم بلينا بحرق الاجسام وعبادة الاوثان والاصنام والقرود وكثرة اولاد الزنا وسواد الوجوه واكل الفوفل لكان بالانصاف أليق .

ثم نظر الملك فرأى رجلاً آخر فتأمله فاذا هو طويل مترد ٍ برداء اصفر بيده مدرجة ينظر فيها ويزمزم ويترجح قدّاماً وخلفاً ، فقال : من هوذاك ؟ فقيل : رجل من الشأم عبرانى من آل اسرائيل . فقال الملك له تكلم . قال العبرانى : الحمد لله الواحد القديم الحي القيوم القادر الحكيم الذى كان فيما مضى من الدهور والازمان ولم يكن معه سواه ثم بدأ فجعل نوراً ساطعاً ومن النور ناراً وَهاَّجاً وبحراً من الماء رجراجاً وجمع بينهما وخلق منهما دخاناً وزبداً فقال للدخان كن سموات ههنا وقال للزبد كن ارضاً ههنا نخلق السموات وسوّى خلقها فى يومين وبسط الارضين ودحاها فى يومين وخلق بين اطباقها الخلائق من الملائكة والجن والانس والطير والسباع فى يومين ، ثم استوى على العرش فى اليوم السابع واصطفى من خلقه آدم أبا البشر ومن اولاده وذريته نوحاً ومن ذريته ابراهيم خليل الله ومن ذريته اسرائيل ومن ذريته موسى بن عمران وكلّمه وناجاه واعطاه آية اليد البيضاء والعصا والتوراة وفلق البحر له واغرق فرعون عدوّه وجنوده وانزل على آل اسرائيل فى التيه المنّ والسلوى وجعلهم ملوكاً وآتاهم ما لم يؤتِ احداً من العالمين . فله الحمد والمن والمدح والثناء والشكر على النعماء . اقول قولى هذا واستغفر اللهَ لى ولكم . فقال صاحب العزيمة : نسيتَ ولم تقل وجعل منا « القردة والخنازير وعبدَ الطاغوتَ » . «وضربت عليهم الذلة والمسكنة وَباؤا بغضب من الله » . « ذلك لهم خزيٌ فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » . « جزاءً بما كانوا يعملون » .

ثم نظر الملك فرأى رجلاً عليه ثيابٌ من الصوف وعلى وسطه

منطقةٌ من السيور بيده مبخرةٌ يبخر فيه بالكندر رافعاً صوته يقرأ كلمات ويلحنها قال ومن هو ذاك ؟ قيل : رجلٌ سريانى من آل المسيح ، قال ليتكلم . قال السريانىُّ : الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد وكان فى بدئه بلا كفوءٍ احد ولا عددٍ ولا مددٍ ثم فلق الاصباح ونوّر الانوار واظهر الارواح وصوّر الاشباح وخلق الاجسام وركّب الاجرام ودوّر الافلاك ووكّل الاملاك وسوّى خلق السموات والارضين المدحيّات وارسى الجبال الراسيات وجعل البحار الزاخرات والبرارىَ والفلوات مسكناً للحيوان ومنبتاً للنبات والحمد لله الذى اتخذ من العذراء البتول جسد الناسوت وقرن به جوهر اللاهوت وأيده بروح القدس وأظهر على يديه العجائب وأحيي به آل اسرائيل من موت الخطيئة وجعلنا من اتباعه وانصاره وجعل منا القسيسين والرهبان وجعل فى قلوبنا رحمةً ورأفةً ورهبانيةً فلله الحمد والشكر والثناء ولنا فضائل تركنا ذكرها . واستغفر الله لى ولكم . قال صاحب العزيمة : قل ايضاً فما رعينا حق رعايتها وكفرنا وقلنا ثالث ثلاثة وعبدنا الصلبان واكلنا لحم الخنازير فى القربان وقلنا على الله الزور والبهتان .

ثم نظر الملك الى رجل واقفٍ فتأمله فاذا هو اسمر شديد السمرة نحيف البدن عليه ازارٌ ورداءٌ شبه المحرم راكعاً ساجداً يتلو القرآن ويناجي الرحمن فقال من هو ؟ قال : رجلٌ من تهامة قريشى . قال : ليتكلّم : فقال : الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد « الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احدٌ » . « هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن »

الاوّل بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء الظاهر على كلّ شيء سلطاناً والباطن في كلّ شيء علماً ومشيئةً ونفاذاً وارادةً ، وهو العظيم الشان الواضح البرهان الذي كان قبل الاماكن والازمان والجواهر والاكوان ذوات الكيان ثم قال له كن فكان فخلق فسوّى وقدّر فهدى وهو الذي بنى السماء « فرفع سمكها فسوّاها واغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعاً » لنا ولانعامنا « وما كان معه من إله » ولو كان معه غيره « اذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » صلى الله على محمد وآله وسلم وعلى عباده الصالحين من اهل السموات واهل الارض من المؤمنين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته وهو ارحم الراحمين والحمد لله الذي خصنا بخير الاديان وجعلنا من أمة القرآن وامرنا بتلاوة الفرقان وصوم شهر رمضان والطواف حول البيت الحرام والركن والمقام واكرمنا بليلة القدر والعرفات والزكوات والطهارات والصلوات في الجماعات والاعياد والمنابر والخطب وفقه الدين وعلم سنن المرسلين والشهداء الصالحين ووعدنا بالدخول في دار النعيم ابد الآبدين ودهر الداهرين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وآله الطاهرين . ولنا فضائل أخرى يطول شرحها واستغفر الله لي ولكم .

قال صاحب الجزية : قال ايضاً انا تركنا الدين ورجعنا مرتدين بعد وفاة

نبينا شاكّين منافقين وقتلنا الأئمة الفاضلين الخيّرين طلباً للدنيا بالدين .

ثم نظر الملك فرأى رجلاً أشقر على رأسه مشدّة قائماً فى الملعب بين يديه آلات الرصد فقال من هو ذاك ؟ قيل رجل من اهل الروم من بلاد يونان . قال ليتكلم : قال اليونانىُّ : الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الدائم السرمد كان قبل الهيولى ذات الصور والأبعاد كالواحد قبل الأعداد الازواج والافراد وهو المتعالى عن الانداد والاضداد والحمد لله الذى تفضل وتكرم وأفاض من جوده العقل الفعّال الذى هو معدن العلوم والاسرار وهو نورُ الانوار وعنصر الأرواح والحمد لله الذى أنتج من نوره العقل وبجس من جوهره النفس الكلية الفلكية ذات القوة والحركات وعين الحياة والبركات والحمد لله الذى أظهر من قوّة النفس عنصر الأكوان ذات الهيولى والمكان والحمد لله خالق الاجسام ذوات المقادير والابعاد والاماكن والازمان والحمد لله مركب الافلاك والكواكب السيّاراتِ الموكّل بدورانها النفوس والارواح والملائكة ذوات الصور والأشباح ذوات النطق والافكار والحركات الدرية والاشكال الكرية وجعلها مصابيح الدجى ومشرق الانوار فى الآفاق والاقطار والحمد لله مرتب الاركان ذوات الكيان وجعلها مسكن النبات والحيوان والانس والجان وأخرج النبات وجعلها مادة الاقوات وغذاء الحيوان وهو المخرج من قعر البحار وصمّ الجبال الجواهر المعدنية الكثيرة ذوات المنافع لنوع الانسان والحمد لله الذى فضلنا على كثيرٍ ممن خلق تفضيلا وخص بلادنا بكثرة الريف والخصب والنعم السابغة وجعلنا ملوكاً بالخصال الفاضلة والسير العادلة

ورجحان العقول ودقة التمييز وجودة الفهم وكثرة العلوم والصنائع العجيبة والطب والهندسة وعلم النجوم وتركيب الافلاك ومعرفة منافع الحيوانات والنبات ومعرفة الأبعاد والحركات وآلات الأرصاد والطلسمات وعلم الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات ، فله الحمد والثناء والشكر على جزيل العطايا ، ولنا فضل آخر يطول شرحه واستغفر الله لي ولكم .

قال صاحب العزيمة لليوناني : من اين لكم هذه العلوم والحكم التى ذكرتها وافتخرت بها لولا انكم اخذتم بعضها من علماء بنى اسرائيل ايام بطليموس وبعضها من حكماء مصر أيام ثامسطيوس فنقلتموها الى بلادكم ونسبتموها الى نفوسكم ؛ فقال الملك لليوناني : ماذا تقول فيما ذكر ؛ قال صدق الحكيم فيما قال فانّا أخذنا اكثر علومنا من سائر الامم كما أخذوا اكثر علومهم منا اذ علوم الناس بعضها من بعض ولولم يكن كذلك من اين كان للفرس علم النجوم وتركيب الافلاك وآلات الرّصد لولا أنهم أخذوها من اهل الهند ؛ ومن اين كان لبنى اسرائيل علم الحِيَل والسحر والعزائم ونصب الطلسمات واستخراج المقادير لولا ان سليمان بن داود عليه السلام أخذها من خزائن ملوك سائر الامم لما غلب عليهم ونقلها الى لغة العبرانية وبلاد الشام والى مملكة بلاد فِلسطين وبعضها وَرِثها بنو اسرائيل من كتب أنبيائهم التي القاها اليهم الملائكة بالوحى والانبياء من الملأ الأعلى الذين هم سكان السموات وملوك الافلاك وجنود رب العالمين ؛ فقال الملك للفيلسوف الجنّى : ما تقول فيما ذكر ؛ قال صدق انما تبقى العلوم فى امة دون امة في وقت دون وقت من الزمان اذا صار الملك والنبوة فيها

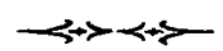
فيغلبون سائر الامم ويأخذون فضائلها وعلومها وكتبها فينقلونها الى بلادهم وينسبونها الى نفوسهم .

ثم نظر الملك الى رجل عظيم اللحية قوى البنية حسن البزة ناظر فى جوّ السماء يدير بصره مع الشمس كيف ما دارت ، فقال من هو ذاك ؟ قال رجلٌ من اهل خراسان وبلاد مروشاهان . فقال ليتكلم . فقال : الحمد لله الواحد الكبير المتعال العزيز الجبار القوى القهار العظيم الفعّال ذى القوّة لا إله الاّ هو اليه المصير الذى يقصر عن كيفية صفاته ألسن الناطقين ولا يبلغ كنه اوصافه اوهام المتفكرين . تحيرت فى عظم جلاله عقول ذوى الالباب والابصار من المستبصرين . علا فدنا وتدلّى وظهر فتجلّى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » احتجب بالانوار قبل خلق الليل والنهار . مالك الافلاك الدائرات ورافع السموات ذوات الاقطار المتباعدات والحمد لله خالق الاصناف من الخليقة من الملائكة والجن والانس والطير وجاعل الخلق اصنافاً ذوى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وذوى رجلين واربع وما ينساب ويمشى على بطنه وما يغوص فى الماء ويسبح فيه ثم جعلها انواعاً واشخاصاً ومن بنى آدم شعوباً وقبائل وانها مختلفة الوانها وألسنتها وديارها واماكنها وازمانها ثم قسم عليها انعامه وافضاله من مواهبه واحسانه فله الحمد على ما اعطى ووهب من آلائه وعلى ما وعد من نعمائه والحمد لله الذى خصنا وتفضل وجعل بلادنا اكثر البلدان وفضّلها مدناً واسواقاً وقرى ومزارع وقلاعاً وحصوناً وانهاراً واشجاراً وجبالاً ومعادن وحيواناً ونباتاً ورجالاً ونساء ، فتساوينا فى قوة

الرجال ورجالنا فى شدة الجمال وجمالنا فى عظم الجبال والحمد لله الذى خصنا ومدحنا على ألسن النبيين بالبأس الشديد والقوة المتينة ومحبة الدين واتباع امر المرسلين فقال عزّ وجل على لسان محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: « قالوا نحن أولو قوّةٍ وأولو بأسٍ شديد » وقال عزّ من قائل: « قل للمخلَّفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد » وقال: « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لو كان الايمان معلقاً بالثريا لتناوله رجالٌ من ابناء فارس » وقال عليه الصلاة والسلام: « طوبى لاخوانى من رجال فارس يجيئون فى آخر الزمان يحبون سواداً على بياض يؤمنون بى ويصدقوننى » والحمد لله على ما خصنّا باليقين والايمان والعمل للآخرة والتزود للمعاد فان منا من يقرأ التوراة ولا يفقه منها شيئاً ويؤمن بموسى ويصدقه ومنا من يؤمن بالانجيل ولا يدرى منه شيئاً ويؤمن بالمسيح ويصدقه ومنا من يؤمن بالقرآن ويلحنه ولا يعرف معناه ويؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقه وينصره، ونحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين بن على عليهما السلام وطردنا البغاة من بنى مروان لما طغوا وبغوا وعصوا وتعدوا حدود الدين ونحن نرجو ان يظهر من بلادنا الامام المنتظر فعندنا له أثرٌ وخبر والحمد على ما اعطى ووهب وانعم واكرم. اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

ولما فرغ الفارسى من كلامه نظر الملك الى من حوله من الحكماء وقال: ما ذا ترون فى هذه الاقاويل التى ذكر؟ قال رئيس الفلاسفة: صدق فيما قال لولا ان فيهم جفاء الطبع وخشن اللسان وعبادة النيران والسجود

للشمس والقمر من دون الرحمن لـكان الحق بيدهم . ولما فرغ حكيم الجن من كلامه نادى منادى الملك الا يا أيها الملأ قد اصبتم فانصرفوا الى مساكنكم مكرمين لتعودوا غداً الى حضرة الملك آمنين .



في بيان صفات الأسد

ولما كان اليوم الثالث وحضر زعماء الطوائف على الرسم ووقفت مواقفها كالامس نظر الملك اليها فرأى ابن آوى واقفاً الى جنب الحمار وهو ينظر شزراً ويلتفت يمنةً ويسرةً شبه المريب الخائف الوجل من الـكلاب ، فقال الملك على لسان الترجمان : من انت ؟ قال : زعيم الحيوان والسباع . قال : من ارسـلك ؟ قال : ملكها . قال من هو ؟ قال : الاسد ابو الحارث . قال لابن آوى : ومن ايّ البلاد ؟ قال :من الآجام والفيافى والدحال . قال من رعيّته ؟ قال : حيوان البر من الوحوش والانعام والبهائم . ثم قال من جنوده واعوانه ؟ قال : النمور والفهود والذئاب وبنو آوى والثعالب وسنانير الوحش وكل ذى مخلبٍ ونابٍ من السباع . قال : صف لى صورته واخلاقه وسيرته فى رعيته وجنوده . قال : نعم أيها الملك هو اكبر السباع جثة واعظمها خلقة واقواها بنية واشدها قوّة وبطشاً واعظمها هيبة وجلالاً عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر كبير الرأس مدوّر الوجه واضح الجبين واسع الشدقين مفتوح المنخرين متين الزندين

حادُّ الانياب صاب المخالب برّاق العينين جهير الصوت شديد الزئير شجاع القلب هائل المنظر لا يهاب احداً ولا يقوم بشدّة بأسه الجواميس والفيلة والتمساح ولا الرجال ذوو البأس الشديد ولا الفرسان ذوو السلاح الشاكّ المدّرعة ، وهو شديد العزيمة صارم الرأى ، اذا همّ بأمر قام اليه بنفسه لا يستعين بأحد من جنوده واعوانه ، وسخيُّ النفس اذا اصطاد فريسةَ اكل منها وتصدق بباقيها على جنوده وخدمه ، ظليف النفس عن الامور الدنية لا يتعرض للنساء والصبيان كريم الطبع اذا رأى ضوءاً من بعيد ذهب نحوه فى ظلم الليل ووقف منه بالبعيد وسكنت سوْرة غضبه ولانت صولته ، واذا سمع نغمة طيبة قرب منها وسكن اليها ، لا يفزع من شيء ولا يتأذّى الا من النمل الصغار فانها مسلّطةٌ عليه وعلى أشباله كسلطان البق على الفيلة والجواميس وكسلطان الذباب على الملوك الجبابرة من بنى آدم . قال : كيف سيرته فى رعيّته ؟ قال : أحسن سيرةً وأجملها واعدلها .

فى بيان صفة العنقاء

ثم نظر الملك الى الطوائف الحضور هناك ورأى الببغاء قاعداً على غصن شجرة بالقرب وهو ينظر ويتأمل كل من يتكلم من الجماعة الحضور وينطق فهو يحاكيه فى كلامه واقاويله . فقال له الملك : من انت ؟ قال :

زعيم الجوارح من الطير . قال : من ارسلك ؟ قال : ملكها . قال : من هو ؟ قال : العنقاء . قال : اين يأوى من البلاد ؟ قال : على اطواد الجبال الشامخة فى جزيرة البحر الاخضر التى قلّ ما يبلغ اليها مراكب البحر او احد من البشر . قال : صف لنا هذه الجزيرة . قال : نعم ايها الملك هى طيبة التربة معتدلة الهواء تحت خط الاستواء عذبة المياه من العيون والانهار كثيرة الاشجار من دوح الساج العالية فى جوّ الهواء وقصب آجامها القنّاء وعكرشها الخيزران وحيواناتها الفيلة والجواميس والخنازير واصناف أُخر لا يحصيها الا الله عز وجل . قال : صف لنا صورة العنقاء واخلاقها وسيرتها . قال : نعم هو اكبر الطيور جثةً واعظمها خلقة واشدها طيرانًا كبير الرأس عظيم المنقار كأنه معول من الحديد حادُّ المخالب مقوّساتٍ كأنها خطاطيف من الحديد عظيم الجناحين اذا نشرهما كأنهما شراعان من شرع مراكب البحر وله ذنب مناسب لهما كأنه منارة نمرود الجبار ، واذا انقض من الجو فى طيرانه تهتز الجبال من شدة تَمَوُّج الهواء من خفقان جناحيه وهو يختطف الجواميس والفيلة من وجه الارض فى طيرانه . قال : كيف سيرته ؟ قال : احسنها واذكرها بعد هذا .

في بيان صفة الثعبان والتنين

ثم ان الملك نظر يمنةً ويسرةً فاذا هو سمع نغمةً وطنيناً من سقف حائط كان بالقرب من هناك وهو يترنم ويزمزم ولا يهدأ ساعةً ولا يسكت ، فتأمله فاذا هو صرصرٌ واقفٌ يحرّك جناحيه له حركةً خفيفةً سريعةً تسمع لها نغمة وطنين كما يسمع لوَتر الزير اذا حُرّك ، فقال له الملك : من انت ؟ قال : زعيم الهوامّ والحشرات . قال : من ارسلك ؟ قال : ملكها . قال : من هو ؟ قال : الثعبان . قال : اين يأوى من البلاد . قال : فى رؤوس التلال والجبال المرتفعة التى فوق كرة النسيم عند كرة الزمهرير حيث لا يرتفع الى هناك سحابٌ ولا غيوم ولا يقع هناك امطارٌ ولا ينبت نباتٌ ولا يعيش حيوانٌ من شدّة برد الزمهرير . قال : فمن جنوده واعوانه ؟ قال : الحيّات والجرّارات والحشرات اجمع . قال فاين يأوى ؟ قال فى الارض بكل مكان منهم أممٌ وخلائق لا يحصى عددها الا الله عزّ وجل الذى خلقها وصوّرها ورتبها ويعلم مستقرّها ومستودعها .

قال الملك : ولمَ ارتفع الثعبان الى هناك من بين جنوده وأعوانه وابناء جنسه ؟ قال : يستروح ببرد الزمهرير من شدة وهج السم الذى بين فكيه وتلهبها فى جسده . قال صف انا صورته وأخلاقه وسيرته . قال صورته

كصورة التنين وأخلاقه كأخلاقه وسيرته كسيرته . قال الملك : من لنا بوصف التنين ؟ قال : الصرصر زعيم حيوان الماء . قال من هو ؟ قال هو ذاك الراكب على الخشبة . فنظر الملك فاذا هو بالضفدع راكباً خشبة على ساحل البحر بالقرب هناك يزمر ويترنم باصوات له تسبيحاً لله وتكبيراً وتحميداً وتهليلا لا يعلمها الا هو والملائكة الكرام البررة . قال الملك : من انت ؟ قال : زعيم حيوان الماء . قال من أرسلك ؟ قال ملكها . قال ومن هو ؟ قال : التنين . قال اين يأوى من البلاد ؟ قال فى قعر البحار حيث الامواج المتلاطمة ومنشأ السحب المتراكمة والغيوم المؤلفة . قال : من جنده واعوانه ؟ قال التماسيح والكواسج والدلافين والسرطانات واصنافٌ من الحيوانات البحرية لا يحصى عددها الا الله الذى خلقها ورَزقها . قال : صف لنا صفة التنين واخلاقه . قال : نعم أيها الملك هو حيوانٌ عظيم الخلقة عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل المنظر مهول المخبر يخافه ويهابه حيواناتُ البحر اجمع اشدة قوّته وعظم صورته . اذا تحرك تموَّج البحر من شدة سرعة سباحته ، كبير الرأس برّاق العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان يبلع كل يوم من حيوانات البحر عدداً لا يحصى واذا امتلأ جوفه منها واتخم تقوَّس والتوى واعتمد على رأسه وذنبه ورفع وسطه خارجاً من الماء مرتفعاً فى الهواء مثل قوس قزح يتشرق فى عين الشمس ويستريح نحوها ليستمرئ ما فى جوفه وربما عرض له وهو على تلك الحالة غشية وسكر وتنشأ السحابة من تحته فترفعه وترمى به الى البرّ فيموت وأكل من جيفته السباع أياماً وترمى به

الى ساحل بلاد يأجوج ومأجوج الساكنين من وراء السد وهما أمتان صُوَرُهما ونفوسهما سبعية لا يعرفان التدبير ولا السياسة ولا البيع ولا التجارة ولا الصنائع ولا الحرفة ولا الحرث ولا الزرع بل تكون حرفتهم الصيدَ من السباع والوحوش والسمك ، والنهب والغارة بعضها من بعض واكل بعضها بعضاً

واعلم ايها الملك بأن كل حيوانات البحر تفزع من التنين وتهابه وهو لا يفزع من شيء الاَّ من دابة صغيرة تشبه الكزود او الجرجس تلسعه وهو لا يقدر عليها بطشاً ولا منها احترازاً واذا اسعته دبَّ سمها فى جسده فمات فاجتمعت عليه الحيوانات البحرية فأكلته فيكون لها عشاءً وغداءً اياماً من جثته كما يأكل صغار السباع كبارها مدة من الزمان وهكذا حكم الجوارح من الطير . وذلك ان العصافير والقبابر والخطاطيف وغيرها تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها . ثم إن البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقبابر وتأكلها . ثم ان البزاة والصقور والنسور والعقبان تصطادها وتأكلها . ثم انها اذا ماتت أكلها صغارها من النمل والذباب والديدان وهكذا سيرة بنى آدم فانهم يأكلون لحوم الجداء والحملان والغنم والبقر والطير وغيرها . ثم اذا ماتوا اكلتهم فى قبورهم وتوابيتهم الديدان والنمل والذباب فتارة يأكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تأكل كبارها صغارها ومن أجل هذا قالت الحكماء الطبيعيون من الانس إن فى فساد شيء يكون صلاح شيء آخر . قال الله عزَّ وجلَّ : « وتلك الايام نداولها بين الناس » وقال : « وما يعقلها الا العالمون »

وقد سمعنا أن هؤلاء الانس يزعمون أنهم اربابنا ونحن عبيدٌ لهم مع سائر الحيوانات فهلاَّ يتفكرون فيما وصفتُ من تصاريف احوال الحيوانات؟ هل بينها وبينهم فرقٌ فيما ذكرنا بانهم تارة آكلون وتارة مأكولون؟ فبماذا يفتخر بنو آدم علينا وعلى سائر الحيوانات وعاقبة امورهم مثل عاقبة امورنا وقد قيل ان الاعمال بخواتيمها وكلهم من التراب واليه مصيرهم؟

ثم قال الضفدع: اعلم ايها الملك انه لما سمع التنّين قول الانس وادعاءهم على الحيوانات انها عبيدهم وانهم ارباب لها تعجب من قولهم الزور والبهتان وقال: ما أجهل هؤلاء الآدميين واشدّ طغيانهم واعجابهم بانفسهم ومكابرتهم لاحكام العقول كيف يجوّزون ان يكون السباع والوحوش والجوارح والثعابين والتنانين والتماسيح والكواسج عبيداً لهم وخلقت من أجلهم فلا يتفكّرون ويعتبرون بانه لو خرجت عليهم السباع من الآجام والفيافى وانقضت عليهم الجوارح من الجوّ ونزلت عليهم الثعابين من رؤس الجبال وخرجت اليهم التماسيح والتنانين من البحر فحملت على الانس حملةً واحدةً هل كان يبقى منهم احدٌ؟ وانها لو خالطتهم فى ديارهم ومنازلهم هل كان يطيب لهم عيشٌ او حيوةٌ معها فلا يتفكّرون فى نعم الله عليهم حين صرفها عنهم وابعدها من ديارهم ليدفع ضررها عنهم وانما غرّهم كون هذه الحيوانات السليمة الاسيرة فى ايديهم التى لا شوكة لها ولا صولة ولا حيلة فهم يسومونها سوء العذاب ليلاً ونهاراً واخرجهم ذلك الى هذا القول بغير حق ولا برهان.

ثم نظر الملك الى جماعة الانس وهم وقوفٌ نحواً من سبعين رجلاً

مختلفي الالوان والصفات والزيّ واللباس فقال لهم : قد سمعتم ما قال الحيوانات . فاعتبروا وتفكّروا فيه . ثم قال لهم : من ملككم ؟ قالوا : لنا عدة ملوك . قال : اين ديارهم ؟ قالوا فى بلدان شتى كلٌّ واحدٍ فى مدينة بجنوده ورعيته . فقال الملك : لايّ علةٍ وايّ سبب صار لهذه الطوائف من الحيوانات لكلّ جنس منها ملكٌ واحدٌ مع كثرتها وللانس ملوكٌ عديدةٌ مع قلتهم ؟ قال زعيم الانس العراقيُّ : نعم أيها الملك انا الذى اخبرك ما العلة والسبب فى كثرة ملوك الانس مع قلة عددهم وقلة ملوك الحيوانات مع كثرة عددها . قال الملك : ما هى؟ قال : لكثرة مآرب الانس وفنون تصاريفهم فى أمورهم واختلاف احوالهم احتاجوا الى كثرة الملوك وليس حكم سائر الحيوانات كذلك ، وخصلةٌ أخرى ان ملوكها انما هى بالاسم من جهة كبر الجثة وعظم الخلقة وشدّة القوّة فاما حكم ملوك الانس فربما يكون بخلافه وذلك انه ربما يكون الملك أصغرهم جثة والطفهم بنية واضعفهم قوّة ، وانما المراد من الملوك حسن السياسة والعدل فى الحكومة ومراعاة أمر الرعية ونفقد احوال الجنود وترتيبهم مراتبهم والاستعانة بهم فى الامور المشاكلة لهم وذلك ان رعية ملوك الانس وجنودهم واعوانهم اصنافٌ ولهم صفاتٌ شتى فمنهم حملة السلاح الذين بهم يبطش الملك باعدائه ومن خالف امره من الدعاة والخوارج واللصوص وقطاع الطريق والعيارين ومن يريد الفتن والفساد فى البلاد . ومنهم الوزراء والكتاب واصحاب الدواوين وجباة الخراج الذين بهم يجمع الملك الاموال والذخائر وأرزاق الجنود وما يحتاج

من الامتعة والثياب والاثاث . ومنهم التنّاء والدهاقين والمزارعون وأرباب الحرث والنسل وبهم عمارة البلاد وقوام المعاش للكل . ومنهم القضاة والفقهاء والعلماء الذين بهم قوام الدين واحكام الشريعة اذ لا بد للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية ويسوسهم ويدبر امورهم على احكم حال واحسنها . ومنهم التجار والصنّاع واصحاب الحرف والمتعاونون فى المعاملات والتجارات والصنائع فى المدن والقرى الذين لا يستقيم امر المعاش وطيب الحياة الا بهم ومعاونتهم بعضهم لبعض . ومنهم الخدم والغلمان والحرم والجوارى والوكلاء واصحاب الخزائن والفيوج والرسل وأصحاب الاخبار والندماء المختصون ومن شاكلهم ممن لا بدّ للملوك منهم فى تمام السيرة وكلّ هؤلاء الطوائف الذين ذكرتهم لا بدّ للملك من النظر فى امورهم وتفقد احوالهم والحكومة بينهم . فمن اجل هذه الخصال احتاج الانس الى كثرة الملوك وصار فى كل بلدٍ او مدينة ملك واحد يدبر أمرها وأمر اهلها كما ذكرت ، ولم يكن يمكن ان يقوم بامورها كلها ملك واحد لان اقاليم الارض سبعة فى كلّ اقليم عدّة من البلدان وفى كلّ بلاد عدّة مدن وفى كل مدينة خلائق كثيرة لا يحصى عددها الا الله عزّ وجل . وهم مختلفو الالسنة والاخلاق والآراء والمذاهب والاعمال والاحوال والمآرب فلهذه الخصال وجب فى الحكمة الالهية والعناية الربانية ان تكون ملوك الانس كثيرة وكلُّ ملوك بنى آدم خلفاء الله فى الارض ملكهم بلاده وولاهم عباده ليسوسوهم ويدبروا امورهم ويحفظوا نظامهم ويتفقدوا احوالهم ويقمعوا الظلمة وينصروا المظلوم

ويقضوا بالحق وبه يعدلون فيأمرون باوامر الله وينهون بنواهيه ويتشبهون به فى تدبيرهم وسياستهم اذ كان الله تعالى هو سائس الكل ومدبر الخلائق اجمعين من اعلى علّيين الى اسفل سافلين وحافظهم وخالقهم ورازقهم ومبدئهم ومعيدهم كما شاء وكيف شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

فى بيان النحل وعجائب امورها وما خص بها من الكرامات والمواهب دون غيرها من الحشرات

فلما فرغ زعيم القوم الانسى من كلامه نظر الملك الى الجماعة الحضور من اصناف الحيوانات فسمع دوياً وطنيناً فاذا هو امير النحل وزعيمها الملقب باليعسوب واقفاً فى الهواء يحرك جناحيه حركة خفيفة يسمع لها دويٌ وطنين مثل نغمة الزير من اوتار العود وهو يسبّح لله ويقدسه ويهلله . قال الملك : من انت ؟ فقال : زعيم الحشرات واميرها . فقال : لمَ جئت بنفسك ولمَ لم ترسل رسولا من رعيتك وجنودك كما ارسلت سائر طوائف الحيوانات ؟ قال اشفاقاً عليهم ورحمة لهم ان ينال احداً منهم سوء او مكروه او اذية . قال له الملك : كيف خصصت بهذه الخصلة دون غيرك من ملوك سائر الحيوانات ؟ قال : انما خصنى ربى تعالى من جزيل مواهبه ولطيف انعامه وعظيم احسانه بما لا أحصيها . قال له الملك : اذكر طرفاً

منها لأسمعه وبيّنـه لأفهمه . قال نعم ان مما خصني الله تعالى وأنعم به عليَّ وعلى آبائي وأجدادي وأولادي وذريتي أن آتانا الملك والنبوة التي لم تكن لحيوانات اخر وجعلهما وراثة من آبائنا وأجدادنا وذرياتنا يتوارثها خلف عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان عظيمتان جزيلتان مغبون فيهما اكثر الخلائق من الجن والانس وسائر الحيوانات . ومما خصنا ربنا وانعم به علينا أن ألهمنا وعلمنا دقة الصنائع الهندسية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجمع الذخائر فيها . ومما خصنا به ايضاً وانعم علينا ان احلّ علينا الاكل من كل الثمرات ومن جميع ازهار النبات . ومما خصنا وأنعم به علينا ان جعل الله في مكاسبنا وذخائرنا وما يخرج من بطوننا شراباً حلواً لذيذاً فيه شفاءٌ للناس وتصديق ماذكرت قول الله على لسان نبيه عليه السلام : « واوحى ربك الى النحل أنِ اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربكِ ذُللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاءٌ للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » ومما خصنا وانعم به علينا ان جعل خلقة صورتنا وهيا كلنا وجميل اخلاقنا وحسن سيرتنا وتصاريف امورنا عبرة لاولي الالبـاب وآية لأولي الابصار وذلك انه خلق لي خلقة لطيفة وبنية نحيفة وصورة عجيبة :

بيان ذلك انه جعل بنية جسدي ثلاث مفاصل محزوزة فجعل وسط جسدي مربعاً مكعباً ومؤخر جسدي مدمجاً مخروطاً ورأسي مدوَّراً مبسوطاً وركَّب في وسطي اربعـة ارجل ويدين متناسـبات المقـادير كأضـلاع الشكل المسدَّس في الدائرة لاستعين بها على القيام والقعود

والوقوع والنهوض واقدّر أساس بناء منازلى وبيوتى على اشكال مسدسات مكتنفات كي لا يداخلها الهواء فيضرُّ باولادى او يفسد شرابى الذى هو قوتى وذخائرى وبهذه الاربعة الارجل واليدين اجمع من ورق الاشجار والزهر والثمار الرطوبات الدهنية التى ابنى بها منازلى وبيوتى وجعل سبحانه وتعالى على كتفي اربعة اجنحة خفيفة حريرية لأسبح فى الطيران فى جوّ السماء وجعل مؤخر بدنى مخروط الشكل مجوفاً مدمجاً مملوءاً هواء ليكون موازياً لثقل رأسى فى الطيران وجعل لى حُمةً حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحاً لى لأخوف بها اعدائى وازجربها من يتعرض لى او يؤذينى وجعل رقبتى دقيقة ليسهل بها تحريك رأسى يمنة ويسرة ، وجعل رأسى مدوَّراً عريضاً ، وركب فى جنبي رأسى عينين برّاقتين كأنهما مرآتان مجلوتان وجعلهما آلة لى لادراك المرئيات والمبصرات من الالوان والاشكال فى الانوار والظلمات ، وانبت على رأسى شبه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لى لأحس بهما الملموسات اللينة من الخشونة والصلابة من الرخاوة والرطوبة من اليبوسة ، وفتح لى منخرين وجعلهما آلة لى اتنسم بهما الروائح الطيبات ، وجعل لى فماً مفتوحاً فيه قوة ذائقة أتعرفُ بها الطعوم الطيبات من المطعومات المأكولات والمشروبات ، وجعل لى مشفرين حادين اجمع بهما من ثمر الاشجار ومن ورق النبات والازهار وانوار الاشجار رطوبات لطيفة ، وجعل فى جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة طابخة منضجة يصيّر تلك الرطوبات عسلاً حلواً لذيذاً شراباً صافياً غذاءً لى ولاولادى وذخراً وعوناً استتونا كما جعل فى ضروع الانعام قوة هاضمة تصيّر الدم لبناً

خالصاً سائغاً للشاربين . فأنا من اهل هذه النعم والمواهب التى خصنى الله تعالى بها وصيرنى مجتهداً فى كثرة الذكر لها واداء شكرها بالتسبيح لربى والتهليل والتكبير والتحميد والتمجيد آناء الليل والنهار وحسن مراعاة رعيتى وتفقد احوالهم واستصلاح امور جنودى واعوانى وتربية اولادى لانى لهم كالرأس من الجسد وهم كالاعضاء من البدن لاقوام لاحدهما الا بالآخر ولا صلاح الا بصلاح الآخر : فلهذا جعلت نفسى فداء لهم فى اشياء كثيرة من الامور الخطيرة اشفاقاً عليهم ورحمة لهم ، ولهذا الذي ذكرت جئت بنفسى رسولاً وزعيماً نائباً عن رعيتي وجنودي .

فلما فرغ اليعسوب من كلامه . قال الملك : بارك الله فيك من خطيب ما افصحك ! ومن حكيم ما اعلمك ! ومن رئيس ما احسن رئاستك وسياستك ! ومن ملك ما انعم رعايتك ! ومن عبد ما اعرفك بانعام ربك ومواهب مولاك ! . ثم قال الملك : فأين يأوون من البلاد ؟ فقال : فى رؤس الجبال والتلال وبين الاشجار والدحال ، ومنا من يجاور بنى آدم فى منازلهم وديارهم . قال الملك : وكيف عشرتهم لكم وكيف تسلمون منهم ؟ قال : أما من بعد منا فى منازلهم وديارهم فسلم على الامر الاكثر ، ولكن ربما يجيئون الينا فى طلبنا ويتعرضون لنا بالاذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا وهدموا بيوتنا ولم يبالوا أن يقتلوا اولادنا ويأخذوا مكاسبنا وذخائرنا وتقاسموا عليها ويستأثرون بها دوننا . قال الملك : وكيف صبركم عليهم وعلى ذلك الظلم منهم ، قال : صبر المضطرّ تارة كرهاً وتاره وهباً وتسليماً ان عصينا وهربنا وتباعدنا من ديارهم جاؤا

خلقنا يطلبون الصلح ويرضوننا بالهدايا من العطر وبألوان من الحيل من اصوات الطبول والدفوف والزمور والهدايا المزخرفة من الدبس والتمر فنصالحهم ونراجعهم لما فى طباعنا من الخيرية وما فى صدورنا من السلامة وقلة الحقد والحمية وحسن المراجعة ومع هذا كله فلا يرضون عنا هؤلاء الانس حتى يدعوا بأننا عبيد لهم وهم موالٍ وارباب لنا بغير حجة ولا برهان غير قول الزور والبهتان والله تعالى هو المستعان .

فى بيان حسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم

ثم قال اليعسوب لملك الجن : كيف حسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم ؛ قال : تكون احسن الرعايا طاعة واطوع انقياداً لأمرهم ونهيهم قال اليعسوب : ليتفضل الملك ويذكر منها شيئاً . قال نعم اعلم ان فى الجن اخياراً واشراراً مسلمين وكفاراً وابراراً وفجاراً كما يكون فى الناس من بنى آدم ، واما حسن طاعة الاخيار منهم لرؤسائهم وملوكهم ففوق الوصف مما لا يعرفه اكثر الناس من بنى آدم لان طاعتهم لرؤسائهم وملوكهم كطاعة الكواكب فى الفلك للنير الاعظم الذى هو الشمس وذلك ان الشمس فى الفلك كالملك وسائر الكواكب كالجنود والاعوان والرعية فنسبة المريخ من الشمس كنسبة صاحب الجيش من الملك والمشترى كالقاضى وزحل كالخازن وعطارد كالوزير والزهرة كالجرد والقمر كولىّ العهد وسائر الكواكب

كالجنود والاعوان والرعية ، وذلك انها كلها مربوطة بفلك الشمس تسير بسيرها فى استقامتها ورجوعها ووقوفها واتصالاتها وانصرافها كل ذلك بحساب لا يجاوز رسومها ولا يتعدى حدودها وجريان عاداتها فى شروقها وغروبها وجميع احوالها ومتصرفاتها لا ترى منها معصية ولا خلافاً .

قال اليعسوب لملك الجن : ومن اين للكواكب حسن هذه الطاعة والانقياد والنظام والترتب لملكها ؟ قال : من الملائكة الذين هم جنود رب العالمين . قال : صف حسن طاعة الملائكة لرب العالمين . قال : كطاعة الحواس الخمس للنفس الناطقة لا تحتاج الى تهذيب ولا تأديب . قال : زدني بياناً . قال نعم . ألا ترى ايها الحكيم ان الحواس الخمس فى ادراك محسوساتها وايرادها اخبار مدركاتها الى النفس الناطقة لا تحتاج الى امر ولا نهي ولا وعد ولا وعيد بل كلما همّت النفس الناطقة بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همّت به النفس وادركته واوردته اليها بلا زمان ولا تأخر ولا ابطاء ؟ وهكذا طاعة الملائكة لرب العالمين الذين « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون » منه الذى هو رئيس الرؤساء وملك الملوك ورب الارباب ومدبّر الكل وخالق الجميع وأحكم الحاكمين وارحم الراحمين .

وأما الاشرار والكفار والفساق من الجن فانهم احسن طاعة لرؤسائهم واطوع انقياداً لملوكهم من اشرار الانس وفجارهم وفساقهم . والدليل على ذلك حسن طاعة مردة الجن والشياطين لسليمان بن داود لما سخرت له فيما كان يكلفها من الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة فـ « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات . » ومن الدليل

ايضاً على حسن طاعة الجن لرؤسائهم ماقد عرّفه بعض الانس الذين يسافرون في المفاوز والفلوات أن احدهم اذا نزل بواد يخاف فيه من لمم الجن ويسمع دويهم وزجلاتهم فيستعيذ برؤسائهم وملوكهم ويقرأ آية اوكلمة مما في التوراة او في الانجيل او في القرآن ويستجير بهم منهم ومن تعريضهم او أذيتهم فانهم لا يتعرضون له ما دام في مكانه .

ومن حسن طاعة الجن لرؤسائهم انهم اذا تعرّض أحدٌ من مردة الجن بأحدٍ من بني آدم بخبلٍ او فزعةٍ او تخبُّطٍ او لمم فيستعيذ المعزّم من بني آدم برئيس قبيلة الجن او ملكهم او جنوده فانهم يعينونه ويجيرونه اليهم ويمتثلون ما يأمرهم به وينهاهم عنه في حق صاحبهم . ومن الدليل ايضاً على حسن طاعة الجن وسهولة انقيادهم وسرعة اجابتهم للداعي لها اجابة نفر من الجن لمحمد صلى الله عليه وسلم في ساعةٍ اجتازوا به وهو يقرأ القرآنً فوقفوا عليه واستمعوه وأجابوه وولوا الى قومهم منذرين كما هو مذكور في القرآن من قصتهم في نحو من عشرين آية . وهذه الآيات والدلالات والعلامات دالةٌ على حسن طباعهم وسهولة طاعتهم وسرعة انقيادهم وأجابتهم لمن يدعوهم ويستعين بهم خيراً كان او شراً .

فاما طباع الانس وجبلّتهم فبالضد مما ذكرت وذلك ان طاعتهم لرؤسائهم وملوكهم اكثرها خداعٌ ونفاق وغرور وطلب للعوض والارزاق والمكافأة والخلع والمبرّات والكرامات . فان لم يروا ما يطلبون أظهروا المعصية والخلاف وخلع الطاعة والخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد في الارض وهكذا حكمهم مع أنبيائهم ورسل

ربهم فتارةً انكروا دعوتهم بالجحود وانكار الضروريات وجحد العيان او الطلب منه المعجزات بالعناد وتارةً بالاجابة بالنفاق والشك والارتياب والمكر والدغل والغش والخيانة فى السرّ والجهر . كل ذلك لغلظ طباعهم وعسر قبولهم وصعوبة انقيادهم ورداءة جبلّتهم وسوء عاداتهم وسيئات اعمالهم وتراكم جهالتهم وعمى قلوبهم . ثم لا يرضون حتى زعموا أنهم اربابٌ وغيرهم عبيدٌ لهم بغير حجةٍ ولا برهان .

فلما رأت الجماعة من الانس طول مخاطبة ملك الجن لليعسوب زعيم الحشرات تعجبت وانكرت وقالت خصّ الملك زعيم الحشرات بكرامةٍ ومنزلةٍ لم يخص بها احداً من زعماء الطوائف فى هذا المجلس . فقال لهم حكيمٌ من حكماء الجن : لا تنكروا ذلك ولا تتعجبوا منه فان اليعسوب وان كان صغير الجثة لطيف المنظر خفيف البنية ضعيف الصورة فانه عظيم المخبر جيد الجوهر ذكيُّ النفس كثير النفع مبارك الناصية محكم الصنعة وهو رئيس من رؤساء الحشرات وخطيبها وملكها والملوك يخاطبون مع من كان من أبناء جنسهم فى الملك والرئاسة وان كان مخالفاً لهم فى الصورة ومبايناً لهم فى المملكة ولا تظنوا ان ملك الجن العادل الحكيم يميل فى الحكومة الى احد من الطوائف دون غيرها لهوى غالب او طبع مشاكل او ميل بسبب من الاسباب او علة من العلل .

فلما فرغ حكيم الجن من الكلام نظر الملك الى الجماعة الحضور وقال : قد سمعتم معشر الانس أمر شكاية هذه البهائم من جوركم وظلمكم وقد سمعنا ادعاءكم عليها الرقّ والعبودية وهى تأبى ذلك وتجحد وتطالبكم

بالدليل والحجة على دعواكم فاوردتم ما ذكرتم وسمعنا جوابها اياكم، فهل عندكم شيءٌ آخر غير ما ذكرتم بالامس؟ فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ليكون لكم حجة عليهم.

فلما سمع الناس جميع ما قال ملك الجن في حقهم قام زعيمٌ من رؤساء الروم فخطب وقال: الحمد لله الحنان المنان ذي الجود والاحسان والعفو والغفران الذي خلق الانسان وألهمه العلوم والبيان وأراه الدليل والبرهان واعطاه العز والسلطان وعلمه تصاريف الدهور وتقلب الازمان وسخّر له النبات والحيوان وعرّفه منافع المعادن والاركان. ثم قال: نعم أيها الملك لنا خصالٌ محمودةٌ ومناقب جمةٌ تدل على ما قلنا وذكرنا. قال الملك: ما هي؟ قال الروميُّ: كثرةُ علومنا وفنون معارفنا ودقة تمييزنا وجودة فكرنا ورويتنا وحسن تدبيرنا وسياستنا وعجيب متصرفاتنا في مصالح معائشنا وتعاوننا في الصنائع والتجارات والحرف في أمور دنيانا وأخرانا. كلُّ ذلك دليلٌ على ما قلنا انّا اربابٌ لهم وهم عبيدٌ لنا. فقال الملك للجماعة الحضور من الحيوانات: ما تقولون فيما استدلَ على ما ادّعى عليكم من الربوبية والتملك؛ فأطرقت الجماعة ساعةً مفكّرةً فيما ذكر الانسيُّ من فضائل بني آدم وما اعطاهم الله من جزيل المواهب التي خصهم بها من بين سائر الحيوانات.

ثم تكلم النحل زعيم الحشرات وقام خطيباً فقال: الحمد لله الواحد الاحد فاطر السموات وخالق المخلوقات ومدبر الاوقات ومنزل القطر والبركات ومنبت العشب في الفلوات ومخرج الزهر من النبات وقاسم

الارزاق والاقوات نسبحه فى سراحنا بالغدوات ونحمده فى رواحنا بالعشيات بما علّمنا من الصلوات والتحيات كما قال عزّ وجل : « وإن من شيءٍ الا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » . اما بعد أيها الملك الحكيم ان هذا الانسيّ يزعم بان له علوماً ومعارف وروية وتدبيراً وسياسة تدلّ انهم اربابٌ لنا ونحن عبيدٌ لهم فلو انهم فكّروا لبان لهمّ من أمرنا ولعرفوا من تصاريف حالاتنا وتعاوننا فى اصلاح شأننا ان لنا علماً وفهماً ومعرفةً وتمييزاً وفكراً وروية وتدبيراً وسياسةً ادقّ واحكم وأتقن مما لهم . فمن ذلك اجتماع جماعة النحل فى قراها وتمليكها عليها رئيساً واحداً واتحاد ذلك الرئيس أعواناً وجنوداً ورعيّة وكيفيّة مراعاتها وسياساتها وكيفية اتخاذها المنازل والقرى والبيوت المسدّسات المتجاورات المكتنفات من غير فرجار ومعرفة بعلم الهندسة كأنها انابيب مجوّفة ثم كيفية ترتيبها البوّابين والحجّاب والحرّاس والمحتسبين وكيف تذهب فى الرعي ايام الربيع والليالى القمراء فى الصيف وكيف تجمع الشمع بارجلها من ورق النبات والعسل بمشافرها من زهر النبات والشجر ثم كيف تخزنها فى بعض البيوت وتنام فيها ايام الشتاء والبرد والرياح والامطار وكيف تقوت من ذلك العسل المخزون أنفسها واولادها يوماً بيوم لا اسرافاً ولا تقتيراً الى ان تنقضى ايام الشتاء ويجيء الربيع وينبت العشب ويطيب الزمان ويخرج النبت والزهر والنوْر كيف ترعى كما كانت عاماً أول وذلك دأبها من غير تعليم من الاستاذين ولا تأديب من المعلمين ولا تلقين من الآباء والامهات ولكن تعليماً من الله عزّ وجل لها ووحياً والهاماً وانعاماً وتكرماً وتفضلاً

عليها ، وأنتم يا معشر الانس لو تدّعون علينا بالرقية وأنتم موالينا فلمَ ترغبون فى فضالتنا وتفرحون عند وجداننا وتستشفون عند تناول ذلك ؟ فمن عادة الملوك والارباب ان لا تحرص ولا ترغب فى فضالة الخدم والخول وايضاً انتم محتاجون لنا ونحن مستغنون عنكم فليس لكم سبيلٌ الى هذه الدعوى . واعلم أيها الملك لو علم هـذا الانسىُّ من حال هذا النمل كيف تتخذ القرى تحت الارض ومنازل وبيوتاً واروقة ودهاليز وغرفاً ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوباً وذخائر وقوتاً للشتاء وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضاً مصوّباً تجرى اليها المياه وبعضها حولها مرتفعاً كى لا يجرى اليها ماء المطر وكيف تخبأ الحب والقوت فى بيوت منعطفات الى فوق حذراً عليها من ماء المطر واذا ابتلّ منها شئ كيف تنشره ايام الصحو وكيف تقطع حبّ الحنطة نصفين وكيف تقشر الشعير والباقلى والعدس لعلمها بأنها لا تنبت الا مع القشر وكيف تقطع حبّة الكزبرة نصفين ثم تقطع كل نصف منها ايضاً نصفين لعلمها بأن نصفها ايضاً ينبت وتراها كيف تعمل ايام الصيف ليلا ونهاراً باتخاذ البيوت وجمع الذخائر وكيف تتصرّف فى الطلب يوماً يسرة القرية ويوماً يمنتها ثم كانها قوافل ذاهبين وجائين وانها اذا ذهبت واحدةٌ منها فوجدت شيئاً لا تقدر على حمله اخذت منه قدراً وذهبت راجعة مخبرة للباقين وكلما استقبلتها واحدة اخذت شيئاً منها مما فى يدها ليدلها على ذلك الشيء ثم ترى كلّ واحدة منها على ذلك الطريق الذى جاءت هى من هناك ثم كيف يجتمع على ذلك الشيء جماعة منها وكيف تحملونه وتجرونه بجهد وعناء فى المعاونة فاذ

علمت بان واحدةً منها توانت فى الحمل او تكاسلت فى المعاونة اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرةً لغيرها فلو تفكّر هذا الانسىُّ فى أمرها واعتبر احوالها لعلم بان لها علماً وفهماً وتمييزاً ومعرفةً ودراية وتدبيراً وسياسة مثل ما لهم ولما افتخروا علينا بما ذكروا.

وايضاً أيها الملك لو فكّر الانسىُّ فى أمر الجراد انها اذا سمنتْ ايام الرعي فى الربيع كيف تطلب ارضاً طيّبة التربة رخوة الحفر وكيف نزلت هناك وحفرت بأرجلها ومخالبها وأدخلت اذنابها فى تلك الحفرة وطرحت فيها بيضاً ودفنتها ثم طارت وعاشت اياماً ثم اذا جاء وقت موتها اكلها الطيور وماتت ما بقيت وهلكت من حرٍّ اوبردٍ او ريح او مطرٍ وفنيت ثم اذا دار الحول وجاءت ايام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء كيف نشأت من تلك البيضة المدفونة فى الارض مثل الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلأ وخرجت لها اجنحةٌ فطارت واكلت من ورق الشجر وسمنت وباضت مثل العام الاوّل وذلك دأبها من تقدير العزيز العليم لعلم هذا الانسىُّ ان لها علماً ومعرفةً.

وهكذا ايضاً لو تفكّر هذا الانسىُّ أيها الملك فى دود القزّ التى تكون على رؤوس الاشجار فى الجبال خاصة شجرِ الغضا والتوت فانها اذا شبعت من الرعى ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها فى رؤوس الاشجار شبه العش لها والكنّ ثم تنام فيها اياماً معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضاً فى داخل الكن الذى نسجت على نفسها ثم ثقبتها وخرجت منها وسدّت تلك الثقب وخرجت لها اجنحةٌ وطارت فأكلها الطيور

او تموت من الحرّ والبرد او المطر ويبقى ذلك البيض فى تلك الحرزات محروزاً ايام الصيف والخريف والشتاء من الحرّ والرياح والامطار الى ان يحول الحول وتجيء ايام الربيع ويحضن ذلك البيض فى الحرزات ويخرج من تلك الثقب مثل الديدان الصغار وتدبّ على ورق الاشجار اياماً معلومة فاذا شبعت وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها مثل العام الاوّل وذلك دأبها وهو تقدير العزيز العليم الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى الى أمور مصالحها ومنافعها .

واما الزنابير الصفر والحمر والسود فانها تبني ايضاً منازل وبيوتاً فى السقوف والحيطان وبين اغصان الشجر مثل فعل النحل وتبيض وتحضن وتفرخ ولكنها لا تجمع القوت لاشتاء ولا تدَّخر للغد شيئاً ولكن تتقوَّت يوماً بيوم ما طاب لها الوقت . واذا احست بتغير الزمان وهو الشتاء ذهبت الى الاغوار والمواضع الدفينة . ومنها ما تدخل فى ثقب الحيطان والمواضع الخفية وتموت فيها وتبقى جثثها طول ايام الشتاء يابسة لا تتبدد اجزاؤها ولا تعانى مقاساة البرد والرياح والمطر فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيما سلم من تلك الجثث روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت وحضنت وخرجت اولادها مثل العام الاول وذلك دأبها ابداً تقديراً من العزيز الحكيم .

وكل هذه الانواع من الحشرات والهوام تبيض وتحضن وتربى اولادها بعلم ومعرفة ودراية وشفقة ورحمة وتحنن ورفق ولطف ولا تطالب من اولادها البر والمكافأة ولا الجزاء ولا الشكر . واما اكثر الانس

فيريدون من أولادهم براً وصلة ورحمة ويعنون عليهم فى تربيتهم اياهم . فأين هذا من المروءة والكرم والسخاء الذى هو من شيم الاحرار والكرام وارباب الفضل فبماذا يفتخر علينا هؤلاء الانس !

ثم قال زعيم النحل : اما الذباب والبق والبراغيث والديدان وما شا كلها من ابناء جنسها فانها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد ولا ترضع ولا تربى اولادها ولا تبنى البيوت ولا تدخر القوت ولا تتخذ الكنَّ بل تقطع ايام حياتها مرفهة مستريحة مما يقاسى غيرها من برد الشتاء والرياح والامطار وحوادث الزمان . فاذا تغير عليها الزمان واضطرب الكيان وتغالبت طبائع الاركان أسلمت انفسها للنوائب والحدثان وانقادت لعلمها يقيناً بالمعاد وأن الله منشئها ومعيدها فى العام القابل كما أنشأها اول مرة ولا تقول ولا تنكر كما انكر وقال الانسى : « أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاماً نخرةً قالوا تلك اذاً كرّة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » ولو اعتبر هذا الانسى ايها الملك بما ذكرت من هذه الاشياء من تصاريف امور هذه الحشرات والهوام لعلم وتبين له أن لها علما وفهماً ومعرفة وتمييزاً ودراية وفكراً وروية وسياسة كل ذلك عناية من البارى عز وجل ولما افتخر علينا بما ذكر انهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

ولما فرغ حكيم النحل وزعيم الحشرات من كلامه قال له ملك الجن: بارك الله فيك من حكيم ما اعلمك ، ومن خطيب ما افصحك ، ومن مبين ما ابلغك . ثم قال الملك : امعشر الانس قد سمعتم ما قال وفهمتم ما اجاب

فهل عندكم شيء آخر؟ — فقام انسي آخر اعرابي فقال : نعم ايها الملك لنا خصال محمودة ومناقب شتى تدل على انّا ارباب وهم عبيد لنا . فقال الملك : هات اذكر منها شيئاً. — قال : طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ ما لا يحصى عددها الا الله عزوجل مما ليس لهؤلاء الحيوانات معنا شركة فيها بل هي بمعزل عنها . وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا اب الحبوب ولها تبنها وورقها ، ولنا شيرجها ودبسها ولها كسبها وخبثها ، ولنا بعد ذلك ألوان الطعام مما تتخذها من ألوان الخبز والرغفان والاقراص ومن السميذ والجوذابات وألوان الشوى والحلاوى من الخبيص والقطائف والعصائد والاوزينج ، ولنا بعد ذلك ألوان الاشربة من الخمر والنبيذ القارص والفقّاع والسليماني والجلاب وألوان الالبان من الحليب والرايب والمخيض والسمن والزبد والجبن والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبيخ والملاذ والطيبات من المشتهيات ، ولنا مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور والاعراس والولائم والرقص والحكايات والمضاحك والتهانئ والتحيات والمدح والثناء ، ولنا الحليُ والحلل والتيجان وسائر الملبوسات والاسورة والدمالج والخلاخيل والفرش المرفوعة والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة وزرابي مبثوثة والارائك المتقابلة والوسائد اللينة وما شاكل ذلك مما لا يحصى عددها وكل ذلك هي بمعزل عنها : فخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها ونعومتها وانعدام سائر المذكورات عندها دليل على قلة الحرمة لان هذه حال العبيد الاشقياء وتلك حال

ارباب النعم الاحرار والكرام ، وكل هذا دليل على انّا ارباب وهم عبيد لنا . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار وكان قاعداً هناك على غصن شجرة يترنم فقال : الحمد لله الواحدِ الاحد الفرد الصمد الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلة الموجودات وسبب الكائنات من الجماد والنبات وبارئ البريات ومركّب الشهوات ومولّد اللذات كيف شاء واراد . — اما بعد اعلم ايها الملك أن هذا الانسى افتخر علينا بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدرى ان تلك كلها عقوبات لهم واسباب للشقاء وعذاب أليم . قال الملك : وكيف ذلك ؟ بيّن لنا : قال نعم وذلك لانهم يجمعون ذاك ويصلحونه بكد أبدانهم وعناء نفوسهم وجهد ارواحهم وتعرّق جبينهم وما يلقون فى ذلك من الهوان والشقاء مما لا يعد ولا يحصى من كدّ الحرث والزرع واثارة الارض وحفر الانهار والقنا وسد البثوق وعمل البرك والآبار ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقى والحفظ والحصاد والحمل والجمع والدياس والبيدر والكيل والقسمة والوزن والطحن والعجن والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والاشجار والشوك والسرقين وايقاد النيران ومقاساة الدخان وسد المنافذ ومماكسة القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء فى اكتساب المال من الدراهم والدنانير وتعليم الصنائع المتعبة الابدان والاعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات فى التجارات والذهاب والمجىء فى الاسفار البعيدة فى طلب الامتعة والحوائج والادخار والاحتكار والانفاق بالتقتير مع مقاساة

الشح والبخل ، فان كان جمعها من حلال وانفاقها فى وجه الحلال فلا بد من الحساب ، وان كان من غير حلّ وفى غير وجه الله فالويل والعذاب : ونحن بمعزل عن هذه كلها وذلك أن طعامنا وغذاءنا هى ما يخرج لنا من الارض من أمطار السماء من ألوان البقول الرطبة الخضرة النضرة الاينة والحشائش والعشب ومن ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة فى علفها وسنبلها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال والالوان والروائح الزكية والاوراق الخضرة النضرة والازهار والرياحين فى الرياض تخرجها الارض لنا حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كدّ من ابداننا ولا عناء من نفوسنا ولا تعب لارواحنا ولا نحتاج الى كد الحرث ولا عناء سقي ولا حصاد ولا دياس ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شيء وهذه علامة الاحرار الكرام . وايضاً اذا اكلنا قوتنا يوماً بيوم وتركنا ما يفضل عنّا مكانه ولا نحتاج الى حفظ ولا ناطور ولا حارس ولا خازن ولا ادخار الى وقت آخر بلا خوف لص ولا قاطع طريق ننام فى اماكننا واوطاننا واوكارنا بلا ابواب مغلقة ولا حصون مبنية آمنين مطمئنين غير مروعين مستريحين وهذه علامة الاحرار الكرام وهم بمعزل عنها . وايضاً ان لهم بدل كل لذة من فنون ما كولاتهم وألوان مشروباتهم فنوناً من العقوبات وألواناً من العذاب مما نحن بمعزل عنها من الامراض المختلفة والعلل المزمنة والاسقام المهلكة والحميات المحرقة من الغبّ والثانية والمليلة المثلثة والربع وكذلك التخم والجشاء المتغير الحامض والهيضة والقولنج والنقرس والبرسام والسرسام والطاعون واليرقان والدبيلات والسل والجذام والجدرى والثآليل والدماميل والخنازير والحصبة والجراحات

واصناف الاورام مما يحتاج فيها الى عذاب من الكيّ والبط والحقنة والسعوط والحجامة والفصد وشرب الادوية المسهلة الكريهة الرائحة البشعة ومقاساة الحمية وترك الشهوات المركوزة في الجبلّة وما شاكل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للأبدان والارواح والاجساد: كل ذلك اصابكم لماعصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته ونحن بمعزل عن هذه كلها. فمنْ اين زعمتم انكم ارباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء ؟

فلما فرغ الهزار من كلامه قال الانسى : قد يصيبكم معاشر الحيوان من الامراض مثل مايصيبنا ليس هو بشيء تخصنادونكم . قال زعيم الطيور : انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديكة والدجج والكلاب والسنانير والجوارح والبهائم والانعام أو من هو اسير فى ايديكم ممنوع عن التصرف برأيه فى امور مصالحه . فأما من كان منا مخلًّى برأيه وتدبيره فى امر مصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقلّ مايعرض له من الامراض والاوجاع . وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بمقدار ما ينبغي من لون واحد قدر مايسكّن ألم الجوع ثم يستريح وينام ويروض ويمتنع من الافراط والحركة والسكون فى الشمس الحارة او فى الظلال الباردة أو السكون فى البلدان غير الموافقة او اكل المأكولات غير الملائمة لمزاجها . فاما التى تخالطكم من الحيوانات ومن الكلاب والسنانير ومن هو اسير فى ايديكم من البهائم والانعام ممنوعة من التصرف برأيها فى مصالحها فى اوقات ما يدعوها طباعها المركوزة فى جبلّتها وتطعم وتسقى فى غير وقته او غير ما يشتهى او من شدة الجوع والعطش تأكل اكثر من مقدار الحاجة ولا تترك ان تروض نفسها كما

يجب بل تستخدم وتتعب ابدانها فيعرض لها بعض الامراض من نحو ما يعرض لكم وهكذا حكم امراض اطفالكم واوجاعهم وذلك أن الحوامل من نسائكم وجواريكم والمرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحرصهن اكثر مما ينبغي او غير ما ينبغي من ألوان الطعام والشراب التى ذكرت وافتخرت بها فيتولد فى ابدانهن من ذلك اخلاط غليظة متضادة الطباع ويؤثر فى ابدان الاجنة التى فى بطونهن وفى ابدان اطفالهن من ذلك اللبن الرديء ويصير سبباً للامراض والاعلال والاوجاع من الفالج واللقوة والزمانة واضطراب البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة وما ذكرت من اختلاف الامراض والاوجاع مما انتم مرتهنون بها معترضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب ، كل ذلك عقوبة لكم وعذاب لانفسكم من سوء اعمالكم ورداءة اختياراتكم ونحن بمعزل عن هذه كلها . وشيء آخر ذهب عنكم ايها الانسى تأمله فانظر فيه .— قال : ما هو ؟ قال : ان اطيب ما تأكلون وألذ ماتشربون وانفع ما تداوون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم وهو من الحشرات ، فبأيّ شيء تفتخرون ؟ وأما أكل الثمار وأب الحبوب فنحن مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة ويابسة ، فبأي شيء تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم بالسوية : وايضاً فى الايام التي كانا فى ذلك البستان الذى بالمشرق على رأس ذلك الجبل الذى نحن واتم تعلمون ذلك . كانا يأكلان من تلك الثمار بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا نصب ولا عداوة بينها ولا حسد ولا استئثار

ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا فزع ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واغترّا بقول عدوّهما وعصيا ربهما وأخرجا من هناك عريانين مطرودين ورُميا من رأس الجبل الى اسفله فوقعا فى برية قفرة حيث لا ماء ولا شجر ولا كِنّ فبقيا فيه جائعين عريانين يبكيان على مانالهما من الغم وما فاتهما من النعم التى كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله تعالى تداركتهما فتاب عليهما وارسل من هناك ملكاً علمهما الحرث والحصاد والدياس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش الارض من القطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد ونصب وشقاء لا يحصى عددها مما قد ذكرنا طرفاً منها قبل . فلما توالدا وكثرت اولادهما انتشروا فى الارض برّا وبحراً وسهلاً وجبلاً وضيقوا على سكان الارض من اصناف هذه الحيوانات اماكنها وغلبوا على اوطانها واخذوا منها ما اخذوا واسروا منها ما اسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها اشدّ الطلب واشتدّ بغيهم عليها وطغيانهم حتى بلغ الامر الى هذه الغاية التى انتم عليها الآن من الافتخار والمنازعة والمناظرة والمحاجّة . واما الذى ذكرت بان لكم من مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور ما ليس لنا من الاعراس والولائم والرقص والحكايات والمضاحك والتحيات والتهانئ والمدح والثناء ولكم الحلى والتيجان والاسورة والخلاخيل والدماليج وما شاكلها مما نحن بمعزل عنها فان لكم ايضاً بدل كل خصلة منها ضروباً من العقوبات وفنوناً من المصيبات وعذاباً أليماً مما نحن بمعزل عنها : فمن ذلك ان لكم بازاء الاعراس المآتم وبدل التهنئات التعازى وبدل الغناء والالحان النوح والصراخ .

وبدل الضحك البكاء . وبدل الفرح والسرور الغم والحزن . وبدل المجالس فى الايوانات العاليـة المضيئة القبور المظلمة والتوابيت الضيقة . وبدل الصحون الواسعة الحبوس والمطامير الضيقة المظلمة . وبدل الرقص والنشاط والدستبند السياط والضرب والعقابيل .وبدل الحلىّ والتيجان والخلاخيل والأسورة القيود والاغلال والمسامير . وبدل المدح والثناء الشتم والهجاء وما شاكل ذلك . وبدل كل حسنة سيئة . وبدل كل لذّة ألماً . وبدل كل فرح غماً وحزناً ومصيبة مما نحن بمعزل عنها وهـذه كلها من علامات العبيد الاشقياء ، وان انا عوض مجالسكم وايواناتكم وصحونكم وميادينكم هذا الفضاء الفسيح وهو الجوّ الواسع والرياض الخضرة على شواطئ الانهار وسواحل البلدان والطيران على رؤوس البساتين والتحلق على رؤوس الاشجار نسرح ونروح حيث نشاء فى بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكدٍ من ألوان الحبوب والثمار ونشرب من مياه الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا نحتاج الى حبل ودلو ولا كوز ولا قربة مما انتم مبتلون بها من حملها واصلاحها وبيعها وشرائها وجمع اثمانها بكدٍ وتعب ونصب ومشقة فى الابدان وعناء النفوس وغموم القلوب وهموم الارواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء . فمن اين يتبين لكم انكم ارباب ونحن عبيد لكم ؟

ثم قال الملك لزعيم الانس : قد سمعت الجواب فهل عندك شيء آخر ؟ قال نعم لنا فضائل أخر ومناقب حسان تدل على انا ارباب وهؤلاء عبيد انا . قال فما هو ؛ اذكره . قال نعم . فقام رجل من اهل الشام

عبرانى فقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين . ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم الذى اكرمنا بالوحى والنبوّات والكتب المنزلات والآيات المحكمات وما فيها من انواع الحلال والحرام والحدود والاحكام والاوامر والنواهي والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد والمدح والثناء والمواعظ والتذكار والاخبار والامثال والاعتبار وقصص الاولين وأخبار الآخرين وصفات يوم الدين وما وعدنا من الجنان والنعيم وما اكرمنا ايضاً من الغسل والطهارة والصوم والصلوات والصدقات والزكوات والاعياد والجمعات والذهاب الى بيوت العبادات من المساجد والبيع والكنائس ولنا المنابر والخطب والاذان والنواقيس ولنا البوقات والشبّورات والاقامات والاحرام والتلبية والمناسك وما شاكلها وكل ذلك دليل على اننا ارباب وانتم عبيد .

قال زعيم الطير : لو فكرت أيها الانسيُّ واعتبرت ونظرت لعلمت وتبين لك ان هذه كلها عليكم لا لكم : قال الملك : كيف ذلك ؟ بينه لنا — قال : لانها عذابٌ وعقوبات وغفران للذنوب ومحوٌ للسيئات ونهي عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله عزّ وجل فقال : « ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال : « ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوموا تصحّوا » فلولا انكم معاشر الانس تشتغلون بهذه القواعد الشرعية اضربت اعناقكم فانتم عن مخافة السيف تشتغلون بذلك ونحن براء من الذنوب والسيئات

والفحشاء والمنكر فلم نحتج الى شيء مما ذكرت وافتخرت . واعلم ايها الانسيّ ان الله تعالى لم يبعث رسله وانبياءه الا الى الامم الكافرة والعامة الجاهلة من المشركين والمنكرين لربوبية الصانع الجاحدين لوحدانيته والمدّعين معه الهاً آخر المغيرين احكامه والعاصين اوامره والهاربين من طاعته والجاهلين احسانه والغافلين عن ذكره والناسين عهده وميثاقه والضالّين المضلين الغاوين الذين يضلون عن الصراط المستقيم ونحن براء من هؤلاء كلهم عارفون بربنا مؤمنون به مسلمون موحّدون غير شاكين ولا ممترين . واعلم أيها الانسيّ بان الانبياء والرسل هم اطباء النفوس ومنجموها ولا يحتاج الى الطبيب الا المرضى ولا يحتاج الى المنجمين الا المنحوسون المخاذيل الاشقياء . واعلم أيها الانسيّ ان الغسل والطهارات انما فرضت عليكم من اجل ما يعرض لكم عند الجماع من الشهوة والبغاء والسحق ومن البخر ورائحة العرق لاستكثارها واستعمالها ليلاً ونهاراً غدوًّا ورواحاً ضحوةً وبكرةً ونحن بمعزل عنها لا نهيج ولا نسفد إلا في السنة مرةً واحدة لا لشهوةٍ غالبة ولا للذّة داعيةٍ ولكن لبقاء النسل .

واما الصلاة والصوم فانما فرضا عليكم ليكفّرا من سيئاتكم من الغيبة والنميمة والقبيح من الكلام واللعب واللهو والهذيان ونحن براء من هذه كلها وبمعزل عنها فلم يجب علينا الصوم والصلاة وفنون العبادات وانما الصدقات والزكوات فرضت عليكم من اجل ما تجمعون من فنون الاموال وفضولها من الحل والحرام والغصب والسرقة واللصوصة والبخس في الكيل والوزن وكثرة الجمع والذخائر والامساك عن النفقة في الواجبات والبخل

والشح والاحتكار ومنع الحقوق . تجمعون ما لا تأكلون وتكنزون ما لا تحتاجون اليه فلو انكم تنفقون مما فضل عنكم على فقرائكم وضعفائكم وابناء جنسكم لما وجبت عليكم الصدقات والزكوات ونحن بمعزل عنها لانا مشفقون على ابناء جنسنا ولا نبخل بشيء مما وجدنا من الارزاق ولا ندّخر مما فضل عنا ، نغدو جائعين خماصاً متكلين على الله تعالى ونرجع شبعانين بطانا شاكرين لله .

واما الذى ذكرت ان لكم فى الكتب المنزلة آيات محكمات مبينات للحلال والحرام والحدود والاحكام فكل ذلك تعليم لكم وتأديب لجهالتكم . ولقلة معرفتكم بالمنافع والمضار تحتاجون الى المعلمين والاستاذين والمذكرين والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم ونحن قد ألهمنا جميع ما نحتاج اليه من اول الامر الهاماً من الله تعالى لنا بلا واسطة من الرسل ولا نداء من وراء الحجاب كما ذكر الله عز وجل بقوله : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً » وقال : « كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه » وقال : « فبعث الله غراباً يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة اخى فاصبح من النادمين » فمن عمى قلبه وغلبت جهالته لا يكون نادماً على ذنبه وخطيئته . فافهم هذه الاشارات المخفية والاسرار الالهية .

واما الذى ذكرت بأن لكم أعياداً وجمعات وذهاباً الى بيوت العبادات وليس لنا شيء من ذلك فلأننا لم نحتج اليها لان الاماكن كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة ، أينما توجهنا فثم وجه الله ، والايام كلها لنا جمعة وعيد

والحركات كلها لنا صلوات وتسبيح فلم نحتج الى شىء مما ذكرت وافتخرت .

فلما فرغ زعيم الطير من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس الحضور فقال : قد سمعتم ما قال وفهمتم ماذكر فهل عندكم شئ آخر : اذكروه وبينوه . فقامْ العراقي فقال : الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق ومسبغ النعماء ومولى الآلاء الذى اكرمنا وأنعم علينا وحملنا فى البر والبحر « وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا » . نعم ايها الملك لنا خصال أخر ومناقب ومواهب تدلُّ على انَّا ارباب لهم وهم عبيد لنا . فمن ذلك حسن لباسنا وستر عوراتنا ووطأ فرشنا ونعومة دثارنا ودفء غطائنا ومحاسن زينتنا من الحرير والديباج والخز والقز والفرند والقطن والكتان والسمور والسنجاب وألوان الفرو والاكسية والبسط والأنطاع والمخدات والفرش من اللبود والبزيون وما شاكلها مما لا يعد كثرته : كل هذه المواهب دليل على ما قلنا بانا ارباب وهم لنا عبيد . وخشونة لباسها وغلظ جلودها وسماجة دثارها وكشف عوراتها دليل على انها عبيد لنا ونحن اربابها وملاكها ولنا ان نتحكم فيها تحكم الارباب ونتصرف فيها تصرف الملاّك .

فلما فرغ العراقي من كلامه نظر الملك الى طوائف الحيوان الحضور فقال : ما تقولون فيما ذكر وافتخر عليكم ؟ فقام عند ذلك زعيم السباع وهو كليلة اخو دمنة فقال : الحمد لله القوى العلام خالق الجبال والآكام منشىء النبات والاشجار فى الفيافى والآجام وجاعلها اقواتاً للوحوش والانعام وهو العلي الحكيم خالق السباع ذوات البأس والشجاعة

والاقدام والجسارة ذوات الزنود المتينة والمخالب الحداد والانياب الصلاب والافواه الواسعة والقفزات السريعة والوثبات البعيدة والانتشار فى الليالى المظلمة للمطالب من الاقوات . وهو الذى جعل اقواتها من جيف الانام ولحوم الانعام متاعاً الى حين ثم قضى على جميعها الموت والفناء والمصير الى البلى فله الحمد على ما وهب واعطى وعلى ما حكمّ من الصبر والرضاء . ثم التفت زعيم السباع الى الجماعة الحضور هناك من حكماء الجن وزعماء الحيوانات فقال : هل رأيتم معشر الحكماء وسمعتم معشر الخطباء احداً اكثر سهواً وأطول غفلة وأقل تحصيلا من هذا الانسى ؟ قالت الجماعة : كيف ذلك ؟ قال : لانه ذكر ان من فضائلهم كيت وكيت من حسن اللباس ولين الدثار ، ثم قال للانسى : خبرنى هل كانت هذه الاشياء التي ذكرت وافتخرت بها الا بعد ما اخذتموها من غيركم من سائر الحيوانات واستعرتموها من سواكم من البهائم وسلبتموها عنها ؟ قال الانسى : ومتى كان ذلك ؟ قال : أليس انعم ما تلبسون واحسن ما ترتبون من اللباس الحرير والديباج والابريسم ؟ قال بلى . قال : أليس ذلك من لعاب الدودة التي ليست هى من ولد آدم ؟ قال : هى من جنس الهوام قد نسجتها على نفسها لتكون كناً لها وتنام فيها فتكون لها غطاءً ووطاءً وحرزاً من الآفات من الحر والبرد والرياح والامطار وحوادث الايام ونوائب الزمان فجئتم انتم واخذتم منها قهراً وغلبتموها جوراً فعاقبكم الله به وابتلاكم بسلها وقتلها ونسجها وخياطتها وقصارتها وقطعها وتطريزها وما شاكل ذلك من العناء والتعب الذي انتم مبتلون به معاقبون فى اصلاحها ومرمّتها وبيعها وشرائها

وحفظها بشغل القلوب وتعب الابدان وعناء النفوس لا راحة لكم ولا قرار ولا سكون ولا هدوء فى دائم الاوقات ، وهكذا حكمكم فى أخذ اصواف الانعام وجلود البهائم وأوبار السباع وشعورها وريش الطيور فكل هذه اخذتموها قهراً ونزعتموها غصباً وسلبتموها عنها ظلماً وجوراً ونسبتموها الى أنفسكم بغير حق ثم جئتم تفتخرون بها علينا ولا تستحيون ولا تعتبرون ولا تذكَّرون . ولو كان ذلك فخراً ونباهة لكنا أولى بذلك الفخر منكم اذ قد أنبت الله ذلك على ظهورنا وجعلها لباساً لنا ودثاراً ووطاءً وغطاءً وستراً وزينة لنا كل ذلك تفضلا منه علينا ورفقاً ورحمة لنا ورأفة علينا وتحنناً وشفقة على اولادنا وصغار ابنائنا وذلك انه اذا ولد واحد منا فعليه جلوده المصلحة له وعلى جلده الشعر أو الصوف او الوبر او الريش او الفلوس . كل ذلك جعل لنا لباساً ودثاراً وستراً وزينة على قدر كبر جثته وعظم خلقته لا يحتاج فى اتخاذها الى عمل ولا سعي فى ندف او حلج او غزل او نسج او قطع او خياطة مثل ما انتم مبتلون بها معاقبون عليها لا راحة لكم الى الموت : كل ذلك عقوبة لكم بذنب ابيكم لما عصى وترك وصية ربه وغوى .

قال الملك لزعيم السباع : كيف كان مبدأ آدم فى خلقه من اول ابتدائه ؟ خبّرنا عنه . قال : نعم ايها الملك ان الله تعالى لما خلق آدم أبا البشر وزوجته ازاح عللهما فيما كانا يحتاجان اليه فى قوام وجودهما وبقاء شخصهما من المواد والغذاء والدثار واللباس مثل ما فعل لسائر الحيوانات التى كانت فى تلك الجنة على رأس ذلك الجبل الذي بالمشرق تحت خط الاستواء ، وذلك انه لما خلقهما عريانين انبت على رأس كل واحد منهما شعراً طويلا

مدلًّى على جسد كل واحد منهما فى جميع الجوانب جعداً وسبطاً مرجّلا اسود ليناً كأحسن ما يكون على رأس الجواري الابكار . أنشأهما شابين امردين تزيين فى احسن صورة من صور تلك الحيوانات التى هناك ، وكان ذلك الشعر لباساً لهما وستراً لعورتهما ودثاراً لهما ووطاءً وغطاءً ومانعاً عنهما من البرد والحر ، فكانا يمشيان فى ذلك البستان ويجنيان من ألوان تلك الثمار فيأكلان منها ويتقوتان بها ويتنزهان فى تلك الرياض والرياحين والزهر والنَّوْر مستريحين ملتذين منعمين فرحانين بلا تعب من البدن ولا عناء من النفس ، وكانا منهيين عن تجاوز طورهما وتناول ما ليس لهما قبل وقته فتركا وصية ربهما فاغترّا بقول عدوهما فتناولا ما كانا منهيين عنه فسقطت مرتبتهما وتناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما واخرجا من هناك عريانين مطروحين مهانين معاقبين فيما يتكلفان من اصلاح امر المعاش وما يحتاجان اليه فى قوام الحياة الدنيا كما ذكر حكيم الجن في فصل قبل ذلك .

فلما بلغ زعيم السباع الى هذا الموضع من الكلام قال لهم زعيم الانس : أما انتم يا معشر السباع فسبيلكم ان تسكتوا وتصمتوا وتستحيوا ولا تتكلموا . قال له كليلة : ولم ذلك ؛ قال : لانه ليس فى هذه الطوائف الحضور ههنا جنس اقلّ منكم معشر السباع ولا اقسى قلوباً ولا اقلّ نفعاً ولا اكثر ضرراً ولا اشد حرصاً فى أكل الجيف وطلب المعاش منكم . قال كيف ذلك ؛ قال لانكم تفترسون معشر السباع هذه البهائم والانعام بمخالب حداد فتخرقون جلودها وتكسرون عظامها وتشربون دماءها

وتشقّون اجوافها بلا رحمة عليها ولا فكرة فيها ولا رفق بها . قال زعيم السباع : منكم تعلمنا ذلك وبكم اقتدينا فيما نفعل بهذه البهائم . قال الانسى : كيف كان ذلك ؛ قال : لأن قبل خلق ابيكم آدم واولاده ما كانت تفعل السباع من ذلك شيئاً ولا تصطاد الاحياء منها لانه كان فى كثرة جيفها وما يموت كل يوم بآجالها كفاية لنا وقوت منها ، فلم نكن نحتاج الى صيد الاحياء وحمل المخاطرة على انفسنا فى الطلب والقتال والمحاربة والتعرض لاسباب المنايا ، وذلك ان الاسود والنمور والفهود والذئاب وغيرها من اصناف الحيوانات السبعية الآكلة اللحوم لا تتعرض للفيلة والجواميس والخنازير ما دامت تجد من جيفها ما يقوتها ويكفيها الا عند الاضطرار وشدة الحاجة لان لها ايضاً اشفاقاً على انفسها كما يكون لغيرها من الحيوانات . فلما جئتم انتم معشر الانس وحشرتم منها قطعان الغنم والبقر والجمال والخيل والبغال والحمير واحرزتموها ولم تتركوا منها فى البرارى والقفار والآجام واحداً عدمت السباع جيفتها فاضطرت الى صيد الاحياء منها وحلّ لها ذلك كما حلّ لكم الميتة عند الاضطرار .

واما الذي ذكرت من قلة رحمتنا وقساوة قلوبنا فلسنا نرى هذه البهائم تشكو منا كما شكت منكم ومن جوركم وظلمكم وتعذيكم عليها . واما الذى ذكرتَ بأنا نقبض عليها بمخالب وانياب ونخرق جلودها ونشقّ اجوافها ونكسر عظامها ونشرب دماءها ونأكل لحومها فهكذا تفعلون انتم ايضاً : تذبحون بسكاكين حداد وتسلخون جلودها وتشقّون اجوافها وتكسرون عظامها بالسواطير والاطبار ونار الطبخ وحرّ التشوية

زيادة على ما نفعل بها نحن. واما الذى ذكرت من ضررنا وجورنا على الحيوان فالقول كما قلت ، ولكن لو فكّرت واعتبرت لعلمت وتبين لك ان كل ذلك صغيرٌ وحقيرٌ فى جنب ما انتم تفعلون بها من الضرب والجور والظلم كما زعم زعيم البهائم فى الفصل الاول. واما ضرر بعضكم لبعض فيربو على ذلك كله من ضرب بعضكم بعضاً بالسيوف والسكاكين والطّعن بالرماح والزوبينات والضرب بالدبابيس والسياط والمثلة والنكال وقطع الايدى والارجل والحبس فى المطامير والسرقة واللصوصة والغش والخيانة فى المعاملة والغمز والسعاية والمكر والخديعة والحيل فى اسباب العداوة وما شاكل هذه الخصال مما لا تفعله السباع بالحيوانات ولا بعضها ببعض ولا تعرفه. واما الذى ذكرت من قلة منافعنا لغيرنا فلو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك ان النفع منا لكم ظاهر مما تنتفعون به من جلودنا وشعورنا واوبارنا واصوافنا وما تنتفعون به من صيد الجوارح التى سخرتموها منا. ولكن خبّرنا أيها الانسىُّ : اى منفعة منكم لغيركم من الحيوانات ؟ فاما الضرر فهو ظاهرٌ بيّنٌ اذ قد شاركتمونا فى ذبح هذه الحيوانات واكل لحمانها والانتفاع بجلودها وشعورها وبخلكم علينا بالانتفاع بجيفكم دفنتموها تحت التراب حتى لا ننتفع منكم احياءً وامواتاً. واما الذى ذكرت من غارات السباع على الحيوانات وقبضها عليها وقتالها فان ذلك كله انما فعلته السباع بعد ما رأت ان بنى آدم يفعلونه بعضهم ببعض من عهد قابيل وهابيل الى يومنا هذا. ترى كل يوم من القتلى والجرحى والصرعى فى الحرب والقتال مثل ما قد شوهد ايام رستم

واسفنديار وايام جمشيد والضحّاك وتبّع وافريدون وايام افراسياب ومنوجهر وايام دارا والاسكندر الرومى وايام بختنصّر وآل داود وايام سابور ذى الاكتاف وايام بهرام وآل عدنان وايام قحطان وايام قسطنطين واهل بلاد يونان وايام عثمان ويزدجرد وايام بنى العباس وبنى مروان وهلمّ جرًّا الى يومنا هذا . نرى فى كل شهر وسنة ويوم وقعة بين بني آدم بعضهم الى بعض . وما يحدث فى هذه الازمان من اسباب الشرور والقتل والجراح والمثلة والنهب والسبي ما لا يقدر قدره ولا يعدّ عدده ، ثم الآن تفتخرون علينا وتقولون فى حق السباع انها شر خليقة فى الارض . اما تستحيون من هذا القول الزور والبهتان علينا ؛ ومتى رأى واحد من الانس ان السباع قاتل بعضها بعضاً كما تفعلون فى كل يوم ؟

ثم قال زعيم السباع لزعيم الانس : لو تفكرتم يا معشر الانس فى احوال السباع واعتبرتم تصاريف امورها لعلمتم وتبين لكم انها خيرٌ منكم وافضل . قال زعيم الانس : كيف ذلك ودلّ عليه . قال نعم . أليس خياركم الزهاد والعبّاد والرهبان والاخيار والنساك ؛ قال نعم . قال : أليس اذا تناهى واحد منكم فى الخيريَة والصلاح خرج من بين ظهرانيكم وفرّ منكم وذهب يأوى رؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية والسواحل والآجام والآكام مأوى السباع ويخالطها فى اكنافها ويعاشرها فى اوطانها ويجاورها فى اماكنها ولا تتعرض له السباع ؛ قال بلى كما قلت . قال : فلو لم تكن السباع اخياراً لما جاورها اخياركم ولما عاشرها الصالحون منكم ، لان الاخيار لا يعاشرون الاشرار بل يفرّون منهم ويبعدون عنهم . فهذا دليل

على ان السباع صالحون لا كما زعمتم انها شرّ خلق الله ، فهذا القول الذى ذكرتم زور وبهتان عليها . ودليل آخر يدل على ان السباع صالحون لا كما زعمت ان من سنة ملوككم الجبابرة اذا شكوا فى الصالحين والاخيار من ابناء جنسكم يطرحونهم بين يدى السباع فان لم تأكلهم علموا انه من الاخيار لانه لا يعرف الاخيار الا الاخيار كما قال القائل :

ويعرف الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر

واعلم أيها الانسيُّ ان فى السباع اخياراً واشراراً وان الاشرار لا تأكل الا الناس الاشرار : كما قال الله تعالى « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولك .

فلما فرغ زعيم السباع من كلامه قال حكيم من الجنّ : صدق هذا القائل ان الاخيار يهربون من الاشرار ويأنسون بالاخيار وان كان من غير جنسهم . فان الاشرار ايضاً يبغضون الاخيار ويهربون منهم ويحبون ابناء جنسهم من الاشرار . فلو لم يكن بنو آدم اكثرهم اشراراً لما هرب اخيارهم من بين ظهرانيهم الى رؤوس الجبال والآكام مأوى السباع وهي من غير جنسهم ولا تشبههم فى الصورة ولا فى الخلقة الا فى اخلاق الخيرية والصلاح فى النفوس والسلامة . فقالت الجماعة كلها : صدق الحكيم فيما قال وخبر وذكر . فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكست رؤوسها حياء وخجلاً لما سمعت من التوبيخ والتعريض ، وانقضى المجلس ونادى مناد انصرفوا مكرَّمين لتعودوا غداً ان شاء الله تعالى .

ولما كان الغد جلس الملك فى مجلسه وحضرت الطوائف كلها على

الرسم واصطفت ، فنظر الملك الى جماعة الانس فقال : قد سمعتم ما جرى امس مما شاع وذاع عند الكل وسمعتم الجواب عما قلتم ، فهل عندكم شيء آخر غير ما ذكرتم امس ؟ فقام عند ذلك الزعيم الفارسي وقال : نعم ايها الملك العادل ان لنا مناقب اخر وخصالاً عدة تدل على صحة ما نقول وندعى . قال الملك : هات واذكر منها شيئاً . قال نعم ان منا الملوك والامراء والخلفاء والسلاطين ، وان منا الرؤساء والكتاب والوزراء والعمال واصحاب الدواوين والقواد والحجاب والنقباء والخواص وخدم الملوك واعوانهم من الجنود ، ومنا ايضاً البنّاء والدهاقين والشرفاء والاغنياء وارباب النعم واصحاب المروآت ، وان منا ايضاً الصناع واصحاب الحرث والزرع والنسل ، ومنا ايضاً الادباء واهل العلم والورع والفضل ، ومنا الخطباء والشعراء والفصحاء ، ومنا المتكلمون والنحويون والقصّاص واصحاب الاخبار ورواة الحديث والقرّاء والعلماء والفقهاء والقضاة والحكام والعدول والمذكّرون ، وايضاً منا الفلاسفة والحكماء والمهندسون والمنجمون والطبيعيون والاطباء والعرّافون والمعزّمون والكهنة والراقون والمعبّرون والكيميائيون واصحاب الطلسمات واصحاب الارصاد واصناف أخر يطول ذكرهم وكل هذه الطوائف والطبقات لهم اخلاق وسجايا وطباع وشمائل ومناقب وخصال حسنة وآراء ومذاهب حميدة وعلوم وصنائع حسان مختلفة ومتفننة وكل هذه الخصال مختصة بنا وهذه الحيوانات بمعزل عنها فهذا دليل على انا ارباب لها وهي عبيد لنا .

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نطق الببغاء فقال : الحمد لله الذي

خلق السموات المسموكات والارضين المدحيات والجبال الراسيات والبحار الزاخرات والبراريّ والفلوات والرياح الذاريات والسحاب المنشآت والقطرات الهاطلات والشجر والنبات والطير الصافّات «كلٌّ قد علم صلوتهٔ وتسبيحه» ثم قال اعلموا أن هذا الانسيّ قد ذكر اصناف بني آدم وعدد طبقاتهم . فلو تفكر ايها الملك الحكيم واعتبر كثرة اجناس الطُيور وانواعها لعلم وتبين له من كثرتها ما يصغر ويقلُّ عنده اصناف بني آدم فى جنب ذلك كما تقدم ذكره فى فصل من هذا الكتاب حيث قال السيمرغ للطاؤس : — من ههنا من خطباء الطيور وفصحائها ؛ ولكن خذ الآن أيها الانسيّ بازاء ما ذكرت وافتخرت به واحداً مذموماً . وبدل كلّ جنس حسن مليح جنساً قبيحاً سمجاً ونحن بمعزل عنها . وذلك ان منكم الفراعنة والنماردة والجبابرة والكفرة والفجرة والفسقة والمشركين والمنافقين والملحدين والمارقين والناكثين والقاسطين والخوارج وقطاع الطريق واللصوص والعيارين والطرّارين . ومنكم ايضاً الدجالون والباغون والمرتابون . ومنكم ايضاً الغمازون والكذابون والنبّاشون ، ومنكم أيضاً السفهاء والجهلاء والاغبياء والناقصون وما شاكل هذه الاصناف والاوصاف والطبقات المذمومة اخلاقهم الردية طباعهم القبيحة أفعالهم السيئة اعمالهم الجائرة سيرتهم ونحن بمعزل عنها ونشاركم فى اكثر الخصال المحمودة والاخلاق الجميلة والسنن العادلة . وذلك ان اول شيء ذكرت وافتخرت به ان منكم الملوك والرؤساء ولكم اعوان وجنود ورعية ، وما علمت بان لجماعة النحل ولجماعة النمل ولجماعة السباع ولجماعة الطيور رؤساء

وجنوداً واعواناً ورعية. وان رؤساءها احسن سياسة واشدُّ رعايةً من ملوك بنى آدم لها واشدُّ تحنناً واكثر رأفة وشفقة عليها:

بيان ذلك ان اكثر ملوك الانس ورؤسائهم لا ينظر فى امور رعيته وجنوده واعوانه الا لجرّ المنفعة لنفسه او لدفع المضرة عنه، اولاجل من يهواه لشهواته كائناً من كان من بعيد أو قريب. ولا يتفكر بعد ذلك فى احد ولا يهمه امره كائناً من كان قريباً او بعيداً. وليس هذا من فعل الملوك العقلاء ولا عمل الرؤساء ذوى السياسة الرحماء، بل من سياسة الملك وشرائطه وخصال الرئاسة ان يكون الملك والرئيس رحيماً رؤوفاً لرعيته مشفقاً متحنناً على جنوده واعوانه اقتداءً بسنة الله الرحمن الرحيم الجواد الكريم الرؤوف الودود لخلقه وعبيده كائناً من كان الذى هو رئيس الرؤساء وملك الملوك.

واما اجناس الحيوانات وملوكها ورؤساؤها فهم احسن اقتداءً بسنة الله تعالى من رؤساء الانس وملوكهم: وذلك ان ملك النحل ينظر فى امور رعيته وجنوده واعوانه ويتفقد احوالهم. وهكذا يفعل ملك النمل وملك الكراكي فى حراسته وطيرانه وملك القطا فى وروده وصدوره، وهكذا حكم سائر الحيوانات التى لها رؤساء ومدبرون لا يطلبون من رعاياهم عوضاً ولا جزاءً فيما يسوسونهم به ولا يطلبون من اولادهم برّاً ولا صلة رحم ولا مكافأة كما يطلب بنو آدم من أولادهم البر والمكافأة فى تربيتهم لهم، بل نجد كلّ نفس من الحيوانات التى تنزو وتسفد وتحبل وتلد وترضع وتربى الاولاد، والتى تسفد وتبيض وتحضن وتزقّ

وتربي الفراخ والاولاد لاتطلب من اولادها برا ولا صلة ولا مكافأة ولكنها تربي اولادها تحنناً عليها وشفقة ورحمة لها ورأفة بها : كل ذلك اقتداءً بسنة الله اذ خلق عبيده وانشأهم ورباهم وأنعم عليهم واحسن اليهم واعطاهم من غير سؤال منهم ولم يطلب منهم جزاءً ولا شكوراً . ولو لم يكن من لؤم طباع الانس وسوء اخلاقهم وسيرتهم الجائرة وعادتهم الرّدية واعمالهم السيئة وافعالهم القبيحة ومذاهبهم الردية الضالة وكفرانهم النعم لما أمر الله تعالى بقوله : «أنِ اشكرلي ولوالديك اليَّ المصير» كما لم يأمر اولادنا اذ ليس فيهم العقوق والكفران وانما يوجه الامرُ والنهي والوعد والوعيد اليكم معشر الانس دوننا لانكم عبيدُ سوءٍ يقع منكم الخلاف والكفر والعصيان وانتم بالعبودية أولى منا ونحن بالحرية أولى منكم . فمن اين زعمتم انكم ارباب لنا ونحن عبيدٌ لكم لولا الوقاحة والمكابرة وقولُ الزور والبهتان ؟

ولما فرغ البيغاء من كلامه قال حكماء الجن وفلاسفتها صدق هذا القائل في جميع ما ذكر وخبر به . فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكسوا رؤوسهم من الحياء والخجل لما توجه عليهم من الحكم ثم لم يكن من الانس احدٌ ينطق بعد ذلك . ولما بلغ البيغاء من كلامه الى هذا الموضع قال الملك لرئيس الفلاسفة من الجن : من هؤلاء الملوك الذين ذكرهم هذا القائل وأثنى عليهم ووصف شدة رحمتهم واشفاقهم على رعيتهم وتحننهم ورأفتهم واشفاقهم على جنودهم واعوانهم وحسن سيَرهم فيهم ؟ وانا أظن أن في ذلك رمزاً من الرموز وسرًا من الاسرار فعرفني ما حقيقة هذه

الاقاويل وإشارات هذه المراميز . قال نعم أيها الملك السعيد سمعاً وطاعة اعلم أن اسم الملك مشتق من اسم الملك واسماء الملوك من اسماء الملائكة وذلك انه ما من جنس من هـذه الحيوانات ولا نوع منها ولاشخص ولا صغير ولا كبـير الا ولله عز وجل ملائـكة موكلون بها تربيها وتحفظها وتراعيها فى جميع متصرفاتها ، ولـكل جنس من الملائـكة رئيس عليها يراعي امورها وهم عليها اشد رحمةً ورأفة وتحنناً وشفقة من الوالدات لاولادها الصغار وبناتها الضعيفة . ثم قال الملك للحكيم : ومن اين للملائكة هذه الرحمة والرأفة والشفقة والتحنن الذى ذكرت : قال من رحمة الله ورأفته للخلق وشفقته وتحننه ، وكل رأفةٍ ورحمةٍ من الولدان والآباء والامهات والملائكة ورحمة الخلق كلهم بعضهم لبعض فهى جزء من الف الف جزء من رحمة الله ورأفته لخلقه وتحننه وشفقته على عباده . ومن الدليل على صحة ما ذكرت وحقيقة ما وصفت ان ربهم لما ابدأهم وابدعهم وخلقهم وسوّاهم وتممهم ورباهم ، ووكّل بحفظهم الملائكة الذين هم صفوته من خلقه وجعلهم رحماء كراماً بررة وخلق لهم المنافع والمرافق من طرف الهيا كل العجيبة والصور والاشكال الظريفة والحواس الدرّاكة اللطيفة وألهمهم جرّ المنافع ودفع المضارّ وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ودبرهم فى الشتاء والصيف فى البر والبحر والسهل والجبل ، وخلق لهم الاقوات من الشجر متاعاً لهم الى حين ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ولو عددت لما احصيت ، كل هذه دلالة وبرهان على شدة رحمة الله ورأفته وتحننه وشفقته على خلقه . قال الملك : فمن

رئيس الملائكة الموكلين ببنى آدم وحفظهم ومراعاة أمورهم ؟ قال الحكيم هو النفس الناطقة الكلية الانسانية التى هى خليفة الله فى ارضه ، وهي التى قرنت بجسد آدم لما خلق من التراب وسجدت له الملائكة اجمعون ، وابى ابليس عن سجدة آدم . وهى النفس الحيوانية المنقادة للنفس الناطقة الباقية ، وهي القوة الغضبية والشهوانية وهي النفس الامارة بالسوء. وهذه النفس الكلية الناطقة هي الباقية الى يومنا هذا فى ذرية آدم كما ان صورة جسد آدم الجسمانية باقية فى ذريته الى يومنا هذا عليها ينشأون وبها يموتون وبها يجازون وبها يؤاخذون واليها يرجعون وبها يقومون يوم القيامة وبها يبعثون وبها يدخلون الجنة وبها يصعدون الى عالم الافلاك. ثم قال الملك : لماذا لا تدرك الابصار الملائكة والنفوس ؟ قال لانها جواهر روحانية شفافة نورانية ليس لها لون ولا جسم ولا تدركها الحواس الجسمانية مثل الشم والذوق واللمس بل تراها الابصار اللطيفة مثل ابصار الانبياء والرسل واسماعهم فانهم بصفاء نفوسهم وانتباهها من نوم الغفلة واستيقاظها من رقدة الجهالة وخروجها من ظلمات الخطايا قد انتعشت نفوسهم وحييت فصارت مشاكلة لنفوس الملائكة تراها وتسمع كلامها وتأخذ منها الوحي والانباء فتؤديها الى ابناء جنسها من البشر بلغاتها المختلفة لمشاكلتهم اياهم باجسادهم واجسامهم . ثم قال الملك جزاك الله خيراً ونظر الى الببغاء وقال تمم كلامك .

فقال الببغاء بعد خطبة : اما بعد ايها الانسيُّ ان الذى ذكرت بان منكم صنّاعاً واصحاب حِرفٍ فليس بفضيلة لكم دون غيركم ولكن قد

شاركــكم فيها بعض الطيور والهوام والحشرات . بيان ذلك ان النحل من الحشرات وهى فى اتخاذ البيوت وبناء المنازل اعلم واحذق من صناعكم المهندسين والبنائين منكم ، وذلك انها تبنى بيوتها منازل طبقات مستديرات كالاتراس بعضها فوق بعض من غير خشب ولا طين ولا اجُرّ ولا جص كأنها غرفٌ من فوقها غرف وتجعل بيوتها مسدّسات متساويةً الاضلاع والزوايا لما فيها من اتقان الحكمة والصنعة واحكام البنية ولا تحتاج فى عمل ذلك الى فركار تديرها ولا مسطرة تخطها ولا شاقول تدليها ولا كونيا تقدّرها كما يحتاج البناؤون من بنى آدم ، ثم انها تذهب فى الرعي وتجمع الشمع من ورق الاشجار والنبات بأرجلها والعسل من زهر النبات ونَوْر الاشجار وورودها ، تجمعه بمشافرها ولا تحتاج فى ذلك الى زنبيل ولا سلة ولا ملقط ولا مكتل تجمعه فيها او آلة وأداة تستعملها كما يحتاج البناؤون منكم الى الالآت والادوات مثل الفأس والمرّ والمسحاة والراقود والمالج وما شاكلها . وهكذا ايضاً العنكبوت وهى من اضعف الهوام ومع ذلك انها فى نسجها شبكها وتقديرها هنداءها هى اعلم واحذق من الحاكة والنساجين منكم وذلك انها تمد عند نسجها شبكها اوّلاً خيطاً من حائط الى حائط او من غصن الى غصن او من شجرة . الى شجرة اومن جانب نهر الى الجانب الآخر من غير ان تمشى على الماء وتطير فى الهواء ثم تمشى على ذلك الذي مدته اولاً وتجعل سدى شبكها خطوطاً مستقيمة كأنها اطناب الخيمة المضروبة ثم تنسج لحمتها على الاستدارة وتترك فى وسطها دائرة مفتوحة تتمكن فيها لصيد الذباب وكل ذلك تفعله من غير

مغزل لها ولا مفتل ولا كاركاه ولا قصبات ولا مشط ولا ادوات كما يفعل الحائك والنساج منكم فيما يحتاج اليه من الادوات والآلات المعروفة فى صناعتهم . وهكذا ايضاً دودة القز من الهوام وهى احذق صناعهم وصناعتها احكم من صناعتهم ، فمن ذلك انها اذا شبعت فى الرعى طلبت مواضعها بين الاشجار والنبات والشوك ومدت من لعابها خيوطاً دقاقاً ملساً لزجة متينة ونسجت هناك على انفسها كناً كأنه كيس صلب ليكون حرزاً لها من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم ، كل ذلك تفعل من غير حاجة الى ان تتعلم من الاستاذين ولا من الآباء والامهات بل الهاماً من الله عز وجل وتعليماً منه وكل ذلك تفعل من غير حاجة الى مغزل او مفتل او مخيط او مقصّ كما يحتاج الخياطون والرفّاؤون والنساجون منكم . وهكذا الخطاف وهو من الطير يبنى لنفسه منزلاً ولاولاده مهداً معلقاً فى الهواء تحت السقوف من الطين من غير حاجة له الى سلّم يرتقي اليه او ناوق يحمل الطين فيه او عمود او آلة من الآلات او اداة من الادوات . وهكذا ايضاً الأرضة من الهوام تبنى على نفسها بيوتاً من الطين صرفاً تشبه الآزاج والاروقة من غير ان تحفر التراب وتبل الطين او تستقى الماء ، فقولوا ايها الفلاسفة الحكماء من اين لها ذلك الطين ومن اين تجمعه وكيف تحمله ان كنتم تعلمون ؟ وعلى هذا المثال حكم صناعة سائر اجناس الطيور والحيوانات فى اتخاذها المنازل والاوكار والعشوش وتربيةاولادها تجدها احذق وأعلم وأحكم من الانس . من ذلك تربية النعامة وهى مركبة من طائر وبهيمة لفراريجها ، وذلك انها

اذا اجتمع لها من بيضها عشرون او ثلاثون قسمتها ثلاثة اثلاث ثلثاً تدفنها في التراب وثلثاً تتركها في الشمس وثلثاً تحضنها . فاذا اخرجت فراريجها كسرت ما كانت في الشمس وسقتها ما فيها من تلك الرطوبة التي ذوبتها الشمس ورققتها . فاذا اشتدت فراريجها وقويت اخرجت المدفون منها وفتحت لها ثقباً يجتمع فيها النمل والذباب والديدان والهوام والحشرات ثم تطعمها لفراريجها حتى اذا قويت عدت ورعت ولعبت : فقل ايها الانسي أيُّ نسائكم تحسن مثل هذه في تربية اولادها ؟ لان نساءكم ان لم تكن لها قابلة في وقت مخاضها تعينها في وضعها حملها وتشيل ولدها عند الوضع وتعطيها وولدها كيف تقطع سرة ولدها وكيف تقمطه وتدهنه وتكحله وتسقيه وتنومه لا تعلم شيئاً ولا تعرفه . وكذلك ايضاً حكم اولادكم في الجهالة وقلة المعرفة يوم يولدون لا يعلمون خيرهم ومصالح امورهم ولا يعقلون من مصالح امورهم شيئاً من جر منفعة ولا دفع مضرة الا بعد اربع سنين او سبع او عشرين ويحتاجون ان يتعلموا كل يوم علماً جديداً او ادباً مستأنفاً الى آخر العمر . ونحن اولادنا اذا خرج من الرحم احدهم او من البيض او من الكور يكون معلماً ملهماً عارفاً لما يحتاج اليه من امر مصالحه ومنافعه لا يحتاج الى تعليم من الآباء والامهات . فمن ذلك امر فراريج الدجاج والدراج والقباج والطياهج وما شاكلها فانك تجدها اذا تفقص البيض وتخرج تعدو من ساعتها تلقط الحب وتهرب من الطالب لها حتى ربما لا تلحق . كل ذلك عن غير تعليم من الآباء والامهات بل وحياً والهاماً من الله لها وكل ذلك رحمة منه بخلقه وشفقة ورأفة . وذلك

ان هـذا الجنس من الطيور لما لم يكن يعاون الذكر الانثى فى الحضانة والتربية للاولاد كما يعاون باقى الطيور كالحمام والعصافير وغيرها اكثر الله عدد فراريجها واخرجها مستغنية عن تربية الآباء والامهات من شرب اللبن او زق الحبوب والغذاء مما يحتاج اليه غير هذا الجنس من الحيوان والطير ، وكل ذلك عناية من الله تعالى وحسن نظرة منه لهذه الحيوانات التى تقدم ذكرها . فقل لنا الآن ايها الانسى أيهما اكرم عند الله تعالى : الذى عنايته اكثر ورعايته أتم او غير ذلك ؛ فسبحان الله الخالق الرحيم الرؤوف لخلقه الودود الشفيق الرفيق لعباده نحمده ونسبحه فى غدونا ورواحنا نهلله ونقدسه فى ليلنا ونهارنا فله الحمد والمن والفضل والشكر والثناء وهو وارحم الراحمين واحكم الحاكمين واحسن الخالقين .

وأما الذى ذكرت ان منكم الشعراء والخطباء والمتكلمين والمذكرين ومن شاكلهم فلو انكم فهمتم منطق الطير وتسبيح الحشرات وتكبيرات الهوام وتهليلات البهائم وتذكار الصرصر ودعاء الضفدع ومواعظ البلابل وخطب القنابر وتسبيح القطا وتكبير الكراكي وأذان الديك ومايقول الحمام فى هديره ومانيعق الغراب الكاهن من الزجور ومايصف الخطاطيف من الامور وما يخبر الهدهد وما يقول النمل وما يحدث النحل ووعيد الذباب وتحذير البوم وغيرها من سائر الحيوانات ذوي الاصوات والطنين والزئير لعلمتم معشر الانس وتبين لكم ان فى هؤلاء الطوائف خطباء وفصحاء ومتكلمين ومستخبرين ومذكرين وواعظين مثل ما فى بنى آدم ولما افتخرتم علينا بخطبائكم وشعرائكم ومن شاكلهم ، وكفى دلالة وبرهاناً على ما

قلت وذكرت قول الله عز وجل فى القرآن العزيز : « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فنسبكم الله تعالى الى الجهل وقلة العلم والفهم بقوله : « لا تفقهون تسبيحهم » ونسبنا الى العلم والفهم بقوله : « كلٌّ قد علم صلوته وتسبيحه » ثم قال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » فهل على سبيل التعجب لانه يعلم كل عاقل ان الجهل لا يستوى مع العلم لا عند الله ولا عند الناس . فبأي شيء تفتخرون علينا معشر الانس وتدعون انكم ارباب لنا ونحن عبيد لكم مع هذه الخصال التى فيكم كما بينّاً قبل غير الزور والبهتان ؟

وأما ما ذكرت من امور المنجمين الزراقين منكم فاعلموا ان لهم تمويهات وزرقاً دقيقاً لا ينفق الا على الجهال من العوام والنساء والصبيان والحمق ويخفى ايضاً على كثير من العقلاء والادباء : من ذلك ان احدهم يخبر بالكائنات قبل كونها ويرجم بالغيب ويرجف به من غير معرفة صحيحة ولا دلائل واضحة ولا براهين مبينة فيقول بعد كذا شهراً وكذا سنة فى بلد كذا يكون كيت وكيت وهو جاهل لا يدري أي شيء يكون فى بلده وفى قومه وجيرانه ولا يدرى أي شيء يحدث عليه فى نفسه او فى ماله او على اولاده او غلمانه او من يهمه امرهم وانما يرجم بالغيب من مكان بعيد وفى زمان طويل لئلا يقع عليه الاعتبار ويتبين صدقه من كذبه وتمويهه ومخرقته . واعلم ايها الانسى بانه لا يعتبر بقول المنجم الا الطغاة البغاة من ملوككم الجبابرة والفراعنة والنماردة والمغرورون بعاجل شهواتهم المنكرون امر الآخرة ودار المعاد الجاهلون

بالعلم السابق والقـدر المحتوم مثل نمرود الجبار وفرعون ذى الاوتاد وثمود وعاد الذين طغوا فى البـلاد فأكثروا فيها الفساد من قتل الاطفال بقول المنجمين الذين لا يعرفون خالق النجوم ومدبرهـا ، بل يظنون ويتوهمون ان امور الدنيا يدبرها الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر ولا يعرفون المدبر الذى فوقها وهو خالقها ومصورها ومركبها ومدوّرها ومسيّرها وقد أراهم الله تعالى قدرتها مرة بعد اخرى ونفاذ امره ومشيئته دفعات . وذلك ان نمرود الجبار خبّره منجموه بمولود يولد فى مملكته فى سنة من السنين بدلائل القرانات وانه يتربى ويكون له شأن عظيم ويخالف دين عبدة الاصنام . فقال لهم : من أي اهل بيت يكون وفى ايّ يوم يولد وفى أى موضع يتربى ؟ فلم يدروا ولم يمكنهم معرفة ذلك بل اشار عليه وزراؤه وجلساؤه بقتل كل مولود فى تلك السنة ايكون فى جملة من قتل وظنوا ان ذلك ممكن لجهلهم بالعلم السابق والقضاء المحتوم والمقدور الواقع الذى لا بد ان يكون . ففعل ما اشاروا به عليه مما يقع وخلّص الله تعالى ابراهيم خليله من كيدهم ونجاه من حيلهم وما دبّروا من مكرهم . وهكذا فعل فرعون بموسى واولاد بني اسرائيل لما خبّره منجموه بولادة موسى ابن عمران فخلص الله كليمه من كيدهم ومكرهم لما ارادوا به ليُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون . وعلى هـذا القياس والمثال تجرى احكام النجوم ثم لا ينفعهم ذلك من قضاء الله وقدره شيئاً . ثم انتم معشر الانس لا تزدادون الا غروراً بقول المنجمين وطغياناً ولا تعتبرون ولا تتفكرون ولا تنتبهون من جهالاتكم ثم جئتم الآن تفتخرون علينا بان

منكم منجمين واطباء ومهندسين وحكماء ومتفلسفين .

ولما بلغ الببغاء من كلامه الى هذا الموضع قال الملك للجماعة الحضور : احسن الله جزاءه نعم ما قال وبيّن .

ثم قال الملك لزعيم الجوارح أخبرنى . ما الفائدة وما العائدة فى معرفة الكائنات قبل كونها بالدلائل وما يخبر عنها اهلها بفنون الاستدلالات الزجرية والكهانية والنجومية والفأل والقرعة وضرب الحصا والنظر فى الكتف وما شاكل هذه الاستدلالات ان كان لا يمكن دفعها ولا المنع لها ولا التحرز منها فيما يخاف ويحذر من المناحس وحوادث الايام ونوائب الحدثان فى السنين والازمان ؟ — قال الزعيم : نعم يمكن دفع ذلك والتحرز منه أيها الملك ولكن لا من الوجه الذى يطلبه ويلتمسه اهل صناعة النجوم وغيرهم من الناس . — قال : كيف يمكن ذلك وعلى اى وجه ينبغى ان يلتمس ويدفع ؟ — قال : باستعانة رب النجوم وخالقها ومدبرها . — قال : وكيف تكون الاستعانة به ؟ — قال : باستعمال سنن النواميس الالهية واحكام الشرائع النبوية من البكاء والتضرع والصوم والصلاة والتبرع والصدقات فى بيوت العبادات وصدق النيّات واخلاص القلوب والسؤال من الله تعالى بدفعها وصرفها عنهم كيف شاء ، وان يجعل لهم فى ذلك خيراً وصلاحاً لان الدلائل النجومية والزجرية انما تخبر عن الكائنات قبل كونها مما سيفعله رب النجوم وخالقها ومدبرها ومصوّرها ومدوّرها والاستعانة برب النجوم والقوة التى فوق الفلك وفوق النجوم أولى وأحرى وأوجب من الاستعانة بالاختيارات النجوميه الجزئية على دفع

موجبات احكام الكائنات مما اوجبها احكام القرانات والادوار وطوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات فى المواليد . — قال الملك : فاذا استعملت سنن النواميس على شرائط ما ذكرت ودفع الله عنهم هل يدفع عنهم ما هو فى المعلوم انه لا بد كائن ؟ — قال : لا بد من كون ما هو فى المعلوم ولكن ربما يدفع الله عن اهلها شرَّ ما هو كائن او يجعل لهمْ فيها خيرة وصلاحاً ويجعلهم فى حيز السلامة . — قال الملك : وكيف يكون ذلك بيّن لى ؟ — قال : نعم أيها الملك أليس نمرود الجبّار لما اخبره منجموه بالقران وهو الذى يدل على انه سيولد فى الارض مولودٌ يخالف دينُه دينَ عبدة الاوثان كانوا يعنون به ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ؟ — قال نعم . — قال : أليس قد خاف نمرود على دينه ومملكته ورعيته وجنوده فساداً ومناحس ؟ — قال نعم . — قال : أليس لو انه سأل رب النجوم وخالقها ان يجعل له ولرعيته وجنوده ما فيه خير وصلاح لكان الله عزّ وجل وفقه للدخول فى دين ابراهيم هو وجنوده ورعيته وكان فى ذلك صلاح لهم وخير ؟ — قال : نعم . — قال : وهكذا ايضاً فرعون لما اخبره منجموه بمولد موسى بن عمران لو انه سأل ربه ان يجعله مباركاً عليه وقرّة عين له وكان يدخل دينه ، أليس فى ذلك كان صلاح له ولقومه وجنوده كما فعل بامرأته وبأحب الناس اليه واخصهم به ؟ وهو الرجل الذى ذكره الله عزّ وجل فى القرآن ومدحه واثنى عليه فقال تعالى: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً ان يقول ربى الله » الى قوله : « فوقاه الله سيئات ما كسبوا » قال نعم . — ثم قال : أوليس قوم

يونس لما خافوا ما أظلهم من العذاب دعوا ربهم الذى هو رب النجوم وخالقها ومدبرها فكشف عنهم العذاب ؟ — قال نعم . اذن قد ثبتت فائدة علم النجوم والاخبار بالكائنات قبل كونها وكيفية التحرز منها اما بدفعها او بطلب الخيرة والصلاح فيها ، ومن اجل هذا أوصى موسى بن عمران لبنى اسرائيل فقال : متى خفتم من حوادث الزمان الغلا والقحط والجدب والفتن او غلبة الاعداء او دولة الاشرار ومصائب الاخيار فارجعوا عند ذلك الى الله بالتضرع والدعاء واقامة سنن التوراة من الصلوات والصدقات والقرابين والتوبة والندم والبكاء ، فانه اذا علم من صدق قلوبكم ونياتكم صرف عنكم ما تحذرون وكشف عنكم ما تخافون وما انتم به مبتلون . وعلى هذا جرت سنة الانبياء والرسل من لدن آدم ابى البشر الى (محمد) صلى الله عليه وسلم .

فعلى هذا ينبغي أن تستعمل احكام النجوم والاخبار بالكائنات قبل كونها وما يدل عليه من حوادث الايام ونوائب الزمان لا على ما يستعمله اليوم المنجمون ومن اغتر بقولهم بان يختاروا طالعاً جزئياً فيتحرزون به من موجبات احكامه الكليات وكيف يمكن ان يدفع احكام الكل بالجزء ؟ وكيف يجوز ان يستعان بالفلك على مدبر الفلك الا كما فعل قوم يونس والمؤمنون من قوم صالح وقوم شعيب ؟ وعلى هذا المثال ينبغي ان تستعمل مداواة المرضى والاعلاء ايضاً بالرجوع الى الله تعالى اولاً بالدعاء والسؤال له بكشفها والرجاء منه ان يفعل بهم مثل ما ذكرت فى احكام النجوم من الكشف والدفع او الاصلاح فى ذلك كما بين الله تعالى عن ابراهيم خليله

حيث يقول : « الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضتُ فهو يشفين »ولا ينبغي ان يكون الرجوع الى احكام الاطباء الناقصة فى الصناعة الجاهلة باحكام الطبيعة الغافلة عن معرفة ربّ الطبيعة ولطفه فى صنعته وذلك انك ترى اكثر الناس يفزعون عند ابتداء امرهم فى امراضهم الى الطبيب فاذا فعل بهم العلاج والمداواة فلم ينفعهم ذلك وأيسوا منه رجعوا عند ذلك الى الله تعالى مضطرين ، وربما يكتبون الرقاع ويلزقونها على حيطان المساجد والبيع وأساطينها ويدعون لانفسهم وينادون بالشهرة والنكال بقولهم رحم الله من دعا للمبتلى كما يفعل بالمشهرين هذا جزاء من سرق او عمل ما يشبهه ، ولو انهم رجعوا الى الله فى اول الامر ودعوه فى السر والاعلان كان خيراً لهم واصلح من الشهرة والنكال .

فعلى هذا يجب ان تستعمل احكام النجوم فى دفع مضار النكبات والتحرز من موجبات احكامها او مايدل عليه من الحوادث لا كما يستعمله المنجمون من الاختيارات بطوالع جزئيات ليحترزوا بها عن موجبات احكامها الكليات من التى توجبها طوالع القرانات وطوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات والاختيارات للاوقات الجيدة لاستجابة الدعاء وطلب الغفران والمسئلة من الله عز وجل بالكشف لما يخافون ويحذرون وأن يصرف عنهم كيف ما شاء . كما ذكر ان ملكاً اخبره منجموه بحادث كائن فى وقت من الزمان يخاف منه هلاكاً على بعض اهل المدينة ، فقال لهم : من اى وجه يكون وبايّ سبب ، فلم يدروا تفصيله ولكن قالوا من سلطان لا يطاق ، فقال لهم : متى يكون ؟

فقالوا فى هذه السنة فى شهر كذا ويوم كذا . فشاور الملك اهل الرأي كيف التحرز منه فاشار عليه اهل الرأى من اهل الدين والورع والمتألهون ان يخرج الملك واهل المدينة كلهم الى خارج البلد فيدعوا الله تعالى ان يصرف عنهم ما خبّرهم به المنجمون مما يخافون ويحذرون ، فقبل الملك مشورتهم وخرج فى ذلك اليوم الذى خافوا كون الحادث فيه وخرج معه اكثر اهل المدينة ودعوا الله تعالى ان يصرف عنهم ما يخافون وأحيوا تلك الليلة على حالهم فى الصحراء وبقي قوم فى المدينة لم يكترثوا بما خبرهم المنجمون وما خاف الناس وحذروا منه ، فجاء بالليل مطرٌ عظيم وسيل عرمٌ وكان بناء المدينة فى مصبّ الوادى فهلك من كان فى المدينة بائتاً ونجا من قد خرج وبات فى الصحراء . فبمثل هذا يدفع عن قوم ويصيب قوماً واما الذى لا يندفع فهو القضاء المبرم ولكن يجعل الله لاهل الدعاء والصدقة والصلاة والصيام فى ذلك خيراً وصلاحاً كما فعل بقوم نوح ومن آمن منهم نجاهم وجعل لهم خيرةً فى ذلك كما ذكر الله تعالى بقوله « فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين » .

واما متفلسفوكم والمنطقيون والجدليون فانهم عليكم لا لكم . قال الانسيُّ : كيف ذلك ؟ — قال : لانهم هم الذين يضلونكم عن المنهاج المستقيم وطريق الدين واحكام الشرائع بكثرة اختلافاتهم وفنون آرائهم ومذاهبهم ومقالاتهم وذلك ان منهم من يقول بقدم العالم ، ومنهم من يقول بقدم الهيولى ، ومنهم من يقول بقدم الصورة ، ومنهم من يقول بعلّتين اثنتين ، ومنهم من يقول بثلاثة ، ومنهم من يقول باربعة ، ومنهم

من يقول بخمسة ، ومنهم من يقول بستة ، ومنهم من يقول بسبعة ، ومنهم من قال بالصانع والمصنوع معاً ، ومنهم من قال بلانهاية ، ومنهم من قال بالتناهى ، ومنهم من قال بالمعاد ، ومنهم من انكر ، ومنهم من اقرّ بالرسل والوحي ، ومنهم من جحدهما ، ومنهم من شك وارتاب وتحير ، ومنهم من قال بالعقل والبرهان ، ومنهم من قال بالتقليد وما سوى ذلك من الاقاويل المختلفة والآراء المتناقضة التى بنو آدم بهامبتلون وفيها متحيرون متبلبلون شاكّون وفيهامختلفون ، ونحن كلنا مذهبنا واحد وطريقنا واحدة وربنا واحد لا شريك له لا نشرك به شيئاً نسبحه فى غدوّنا ونقدسه فى رواحنا ولا نريد لاحدٍ شرًّا ولا نضمر له سوءًا ولا نفتخر على احد من خلق الله تعالى راضون بما قسم الله لنا خاضعون تحت احكامه لا نقول لما وكيف ولماذا فعل ودبر كما يقول الانس المعترضون على ربهم فى احكامه ومشيئته فى صنعته .

واما الذى ذكرت فى امر المهندسين والمساحين منكم وافتخرت بهم فلعمرى ان لهم التعاطى فى البراهين التى تدق على الفهم وتبعد عن التصور لما يدّعون منها ولكن اكثرهم لا يعقلون ولا يعلدون لتركهم تعلم العلوم الواجب عليهم تعلمها ولا يسعهم الجهل بها لانهم قد تراموا ما يدّعون من الفضولات التى لا يحتاجون اليها وذلك ان احدهم يتعاطى مساحة الاجرام والابعاد ومعرفة ارتفاع رؤوس الجبال وارتفاع السحب وعمق قعر البحار وتكسير البرارى والقفار ومعرفة تركيب الافلاك ومراكز الاثقال وما شاكلها وهو مع هذه كلها جاهلٌ بكيفية تركيب

جسده ومساحة جثة بدنه ومعرفة طول مصارينه وامعائه وسعة تجويف صدره وقلبه ورئته ودماغه وكيفية خلق معدته واشكال عظام جسده وتركيب هندام مفاصل بدنه وما شاكل هذه الاشياء التى معرفتها له اسهل وفهمها عليه اوجب والفكر فيها والاعتبار بها اهدى وارشد له الى معرفة ربه وخالقه ومصوّره كما قال عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقال عليه السلام « اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه » . ومع جهله بهذه الاشياء ايضاً ربما يكون تاركاً لتعلم كتاب الله وفهم احكام شرائعه وطرائف دينه ومفروضات سنة مذهبه ولا يسعه تركها ولا الجهل بها .

واما افتخاركم بأطبائكم والمداوين لكم فلعمرى انكم محتاجون اليهم ما دامت لكم البطون المرحبة والشهوات المردية والنفوس الشرهة والمأكولات المختلفة وما يتولد منها من الامراض المزمنة والاسقام المؤلمة وسائر الاوجاع المهلكة فأحوجكم ذلك الى باب الاطباء فزادكم الله به مرضاً على مرض ، فانه لا يرى على باب طبيب ولا صيدلانىّ الا كل عليل مريض سقيم كما لا يرى على دكان المنجم الا كل منحوس او منكوب او خائف ثم لا يزيده المنجم الا نحساً على نحس لانه لا يقدر على تقديم سعادةٍ ولا تأخير منحسة ومع هذا يأخذ قطعة قرطاس ولا يكتب عليها الا زخرف القول غروراً وتخميناً وحزراً بلا يقين ولا برهان ، وهكذا حكم المتطببين منكم يزيدون العليل سقماً والمريض عذاباً بما يأمرونه بالحمية عن تناول اشياء وربما يكون شفاء العليل فى تناولها وهم ينهونه ويمنعونه عنها وربما لو تركوه مع حكم الطبيعة لكان اسرع ابرئه وانجح اشفائه : فافتخاركم أيها

الانسيُّ باطبائكم ومنجميكم هو عليكم لا لكم . فاما نحن فغير محتاجين الى الاطباء والمنجمين لانا لا نأكل الا قوتاً بُلغةً يوماً بيوم من لونٍ واحدٍ وطعام واحدٍ فليس يعرض لنا الامراض المختلفة والاعلال المفننة ولسنا نحتاج الى الاطباء ولا الى الشربات والترياقات وفنون المداواة مما تحتاجون انتم اليه : فهذه الاحوال هي التي بالاحرار والاخيار اشبه وبالكرام اولى وتلك بالعبيد الاشقياء أليق وبهم أحرى فمن اين زعمتم بانكم ارباب ونحن عبيد بلا حجة ولا برهان الا قول الزور والبهتان ؟

واما تجاركم وبناؤكم ودهاقينكم الذين ذكرتم وافتخرتم بهم فلا فخر لكم اذ كانوا هم أسوأ حالاً من العبيد الاشقياء الفقراء والضعفاء وذلك انك تراهم طول نهارهم مشغولي القلوب متعبي الابدان مغمومي النفوس معذَّبي الارواح بما يبنون ما لا يسكنون ويغرسون ما لا يجتنون ويجمعون ما لا يأكلون ويعمرون الدور ويخربون القبور وهم اكياس بأمور الدنيا بلهٌ بامور الآخرة يجمع احدهم الدراهم والدنانير والمتاع ويبخل ان ينفق على نفسه ويتركه لزوج امرأته ولزوجة ابنه او لزوج ابنته او لوارثه ، كادّون لغيرهم مصلحون لامرِ من سواهم لا راحة لهم الى الممات . واما تجاركم فيجمعون من كل حل وحرام ويبنون الدكاكين والخانات ويملأونها من الامتعة ويحتكرونها ويضيقون على انفسهم وجيرانهم واخوانهم ويمنعون الفقراء والیتامى والمساكين حقوقهم ولا ينفقونها فى سبيل الله حتى تذهب جملة واحدة اما فى حرق او غرق او سرقةٍ او مصادرة سلطان جائر او قطع طريق او ما شاكل ذلك فيبقى فى الدنيا هو بحزنه ومصيبته ويعاقب بما كسبت يداه بلا زكوة أخرج

ولا صدقة اعطى ولا يتيم برّه ولا معروف لضعيف فعل به ولاصلة لذى رحم ولا احسان الى صديق ولا تزوُّد لمعاد ولا تقديم لآخرة . أما تعلم ايها الانسيّ أن تجاركم يضيعون العمر ويظنون انهم اكتسبوا ربحاً ولا يعلمون انهم قد ضيعوا رأس مالهم وخسروا خسراناً مبيناً ، أولئك كالانعام بل هم اضلّ سبيلاً وباعوا الآخرة بالدنيا فلا تكون لهم الدنيا ولا الآخرة كما قال الله تعالى: «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» فان انتم تفتخرون بهذا الربح فبئس الافتخار .

وأما الذين ذكرتهم من ارباب النعم واهل المروآت فلو كانت لهم مروءة كما ذكرت لكان لا يهنأ لهم العيش اذا رأوا فقراءهم وجيرانهم واليتامى من اولادا خوانهم والضعفاء من ابناء جنسهم جياعاً عراة مرضى زمنى مفاليج مطروحين على الطرقات يطلبون منهم كسوة ويسألون خرقة وهم لا يلتفتون اليهم ولا يرحمونهم ولا يفكرون فيهم، فايُّ مروءة لهم واى فتوة فيهم ؟ فثبت ان لا مروءة ولا رحمة لهم . واما الذى ذكرت من الكتاب والعمال ومن أصحاب الدواوين وافتخرت بهم فكيف يليق بكم الافتخار بهم لانهم اشرار فجار؟ أليسوا هم الذين يرغبون الى اسباب الشر ما لا يرغب غيرهم ويصلون اليها ما لا يصل غيرهم لدقة افهامهم وجودة تمييزهم ولطف مكائدهم وطول ألسنتهم ونفاذ خطابهم فى كتاباتهم يكتب احدهم الى أخيه وصديقه زخرفاً من القول غروراً بالفاظ مسجعة وكلام حلو وهو من ورائها فى قطع دابره والحيلة فى ازالة نعمه والنظر الى اسباب نكايته وتزوير الاعمال فى مصادرته والتأويلات لأخذ ماله ،

واما قراؤكم وعبادكم والذين تظنون انهم اخياركم وانتم ترجون اجابة دعائهم وشفاعتهم لكم عند ربكم فهم الذين غروكم باظهار الورع والخشوع والتقشف والتنسك فى نتف الاسبلة وتقصير الاكمام وتشمير الازار والسراويل ولبس الخشن من الصوف والشعر والمرقعات وطول الصمت ولزوم السمت مع ترك التفقه فى الدين وترك تعلم احكام الشريعة وسنن الدين وتهذيب النفس واصلاح الاخلاق ، واشتغلوا بكثرة الركوع والسجود بلا علم حتى ظهرت علامة السجّادات فى جباههم والثفنات على ركبهم وتركوا الاكل والشرب حتى جفّت ادمغتهم وذبلت شفاههم ونحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم وانحنت ظهورهم ، وقلوبهم مملوءة بغضاً وحقداً لمن ليس مثلهم ولهم وساوس خصومة مع ربهم بضمائرهم ويقولون فى السر ويعترضون فى الباطن على الله تعالى انه لِمَ خلق ابليس والشياطين والكفّار والفراعنة والفسّاق والفجّار والاشرار؟ ولِمَ رباهم ورزقهم ومكنهم؟ ولِمَ لا يهلكهم؟ ولماذا فعل هذا ولماذا عمل كذا؟ وما شاكل هذه الحالات والوساوس التى قلوبهم منها مملوءة ونفوسهم شاكة متحيرة فهم عند الله اشرار وان كانوا عندكم اخياراً ، فأى افتخار لكم بهم؟ وانما هو عارٌ عليكم!

واما فقهاؤكم وعلماؤكم فهم الذين يتفقهون فى الدين طلباً للدنيا وابتغاء للرئاسة فيها والولايات والقضاء والفتاوى بآرائهم ومذاهبهم فيحللون تارةً ما حرّم الله ورسوله ويحرمون تارةً ما احل الله ورسوله بتأويلاتهم الكاذبة ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ويتركون حقيقة ما انزل الله

من الآيات المحكمات وينبذونها وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ويتبعون ما تتلو الشياطين على قلوبهم من الخيالات والوساوس : كل هذا طلباً للدنيا ومكسباً للرئاسة من غير ورعٍ ولا تقوى من الله وأولئك هم وقود النار فى الآخرة ، فأى فخر لكم بهم ؟

• واما قضاتكم وعدولكم والمزكّون لكم فهم اظلم وازهى وابطر واشرُّ واسوأ من الفراعنة والجبابرة وذلك انك تجد الواحد منهم قبل الولاية قاعداً بالغدوات فى المسجد حافظاً لصلواته مقبلاً على شأنه يمشى بين جيرانه على الارض هوناً حتى اذا ولِىَ القضاء والحكم تراه راكباً بغلةً فارهة او حماراً مصرياً مسرجاً بموكب وغاشية يحملها السودان قد ضمن القضاء من السلطان الجائر بشىء يؤديه اليه من اموال اليتامى وارتفاع الوقوف ويحكم بين المتخاصمين بالصلح مع عدم التراضى وثبوت حق احدهما على الآخر ويلجئهم بذلك قهراً وغلبةً للمحاماة يأخذ السُّحت والبراطيل والرُّشى ويرخّص لهم فى الخيانات وشهادات الزور وترك اداء الامانات والودائع فاولئك هم الذين ذكر الله تعالى ذمهم فى التوراة والانجيل والقرآن فويلٌ لهم ولمن اغتر بهم وبأفعالهم .

واما خلفاؤكم الذين زعمتم أنهم ورثة الانبياء عليهم السلام فكفى فى وصفهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من نبوة فى قوم الا يستخلفها الجبروتية » فيسمون باسم الخلافة النبوية ويتسيرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الامور ويرتكبون كل محظور ويقتلون اولياء الله واولاد الانبياء ويسبُّونهم ويغصبونهم على حقوقهم ويشربون الخمور

ويبادرون الى الفجور . اتخذوا عباد الله خولاً واياهم دولاً واموالهم مغنماً وبدلوا نعمة الله كفراً واستطالوا على الناس افتخاراً ونسوا امر المعاد وباعوا الدين بالدنيا والآخرة بالاولى ، فويلٌ لهم مما كسبت ايديهم وويلٌ لهم مما يكسبون . وذلك انه اذا ولى احدٌ منهم اولاً يقبض على من تقدمت له خدمة لآبائه واسلافه وازال نعمهم وربما قتل اعمامه واخوته وبنى عمه وابناء اخوته واقرباءه وربما كحلهم باميال النار وحبسهم او نفاهم او تبرأ منهم ، وكل ذلك يفعلون بسوء ظنهم وقلة يقينهم بما قدّر الله تعالى لهم ومخافة ان يفوتهم المقدور ورجاءَ ان ينالوا ما ليس فى المقدور : كل ذلك حرصاً على طلب الدنيا وشدّة رغبةٍ فيها وشحًّا عليها وقلة رغبةٍ فى الآخرة وقلة يقين بجزاء الاعمال فى الآخرة والمعاد وليست هذه الخصال من شيم الاحرار ولا فعل الكرام . فافتخارك أيها الانسىُّ على الحيوانات بذكر أمرائكم وملوككم وسلاطينكم وخلفائكم ، هو عليك لا لك وادعاؤكم علينا العبودية ولانفسكم الربوبية باطلٌ وزورٌ وبهتان . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

ولما فرغ الببغاء زعيم الجوارح من كلامه قال الملك لمن حوله من حكماء الجن والانس : اخبرونى من الذى يحمل الى الارضة ذلك الطين الذى به تبنى على نفسها تلك الآزاج والعقود مثل الرواق والدهاليز وهى دابة ليس لها رجلان تعدو بهما ولا جناحان تطير بهما ؟ فقال رجل من العبرانيين : نعم ايها الملك سمعنا ان الجن تحمل اليها ذلك الطين مكافأة لها على ما أسدت اليها من الاحسان فى اليوم الذى اكلت منسأة سليمان بن داود فخر على وجهه

وعلمت الجن بموته وهربت ونجت من العذاب المهين . فقال الملك لمن حوله من علماء الجن : ما ذا تقولون فيما ذكر ؟ فقالوا : لسنا نعرف هذا الفعل من الجن لانه ان كانت الجن تحمل اليها هذا الطين والماء والتراب فهي اذاً بعد فى العذاب المهين لأن سليمان لم يكن يسومها شيئاً سوى حمل الطين والماء والتراب فى اتخاذ البلدان . فقال الفيلسوف اليونانى : عندنا ايها الملك من ذلك علم غير ما حكى هذا العبرانى . فقال الملك اخبرنا ما هو فقال : نعم ايها الملك ان هذه الدابة ظريفة الخلقة عجيبة الطبيعة ، وذلك ان طبيعتها باردة جداً وبدنها متخلخل منفتح المسام يتـداخلها الهواء ويجمد من شدة برد طبيعتها ويصير ماء ويرشح على ظاهر بدنها ويقع عليها غبار الهواء دائمـاً فيبتلُّ ويجتمع شبه الوسخ فهى تجمع ذلك من بدنها وتبنى على نفسها تلك الآزاج كناً لها من الآفات ولها مشفران حادّان مثل السواطير تقرض بهما الخشب والحب والثمر والنبات وتثقب الآجر والحجارة . فقال الملك للصرصر : هذه الدابة من الهوام وانت زعيمها ، فما ذا تقول فيما قال اليونانى ؟ فقال الصرصر : صدق فيما قال ولكن لم يتم الوصف ولم يفرغ من الوصف . فقال الملك : تممه انت . قال : نعم فان الخالق عز وجل لما قدّر اجناس الخلائق وقسم بينهم المواهب والعطايا عدل فى ذلك بينهم بحكمته ليكافئ ويساوى عدلاً منه وانصافاً فمن الخلق ما وهب له جثة عظيمة قوية ونفساً ذليلة مهينة مثل الجمل والفيل ، ومنها ما وهب له نفساً قوية عزيزة عليمة حكيمة وبنية ضعيفة وجثة صغيرة ليتكافأ المواهب والعطايا عدلاً من الله تعالى وحكمة . قال الملك للصرصر : زدنى فى البيان .

قال نعم الا ترى أيها الملك الى الفيل مع كبر جثته وعظم خلقته كيف هو ذليل النفس منقاد للصبي الراكب على كتفيه يصرفه كيف يشاء ؟ أولم تر الى الجمل مع عظم جثته وطول رقبته كيف ينقاد لمن جذب خطامه ولو كانت فأرة او خنفساء ؟ أولم تر الى العقرب الجرارة من الحشرات الصغار والكزود التى هي اصغر منها اذا ضربت الفيل بحمتها كيف تقتله وتهلكه ؟ كذلك هذه الارضة وان كان لها جثة صغيرة وبنية ضعيفة فان لها نفساً قوية ، وهكذا حكم سائر الحيوانات الصغار الجثة مثل دود القز ودود الدرة والعنكبوت وزنابير النحل فان لها انفساً علاَّمةً حكيمة وان كانت اجسادها صغاراً وبنيتها ضعيفة . قال الملك : فما وجه الحكمة فى ذلك ؟ فقال : لان الخالق عز وجل علم ان البنية القوية والجثة العظيمة لا تصلح الا للكد والعمل الشاق وحمل الاثقال فلوقرن بها انفساً كباراً لما انقادت للكد والعمل الشاق ، وأما الجثث الصغار والانفس الكبار العلاَّمة فانها لاتصلح الا للحذق فى الصنائع مثل انفس النحل ودودالقز والدرة وامثالها . قال الملك : زدنى فى البيان . قال نعم ان الحذق فى الصنعة هو أن لا يدرى كيف عمل الصانع صنعته ومن اي شيء يعمل مثل صناعة النحل لانه لا يدرى كيف تبنى منازلها وبيوتها مسدسات من غير فركار ولا مسطرة ، ولا يدرى من اين تجمع العسل وكيف تحمله وكيف تميزه فلو كانت لها جثث كبار لبان ذلك ورُئيَ وشوهد وادرك ، وهكذا حكم دود القز لو كانت لها جثة عظيمة لرئى كيف تمد ذلك الخيط الدقيق وتغزله وتفتله ، وكذلك حكم بناء الارضة لو كانت لها جثة عظيمة لرئى كيف تبل

الطين وكيف تبنى . واخبرك ايها الملك ان الخالق عز وجل قد أرى الدلالة على قدرته للمتفلسفة من بنى آدم المنكرين ايجاد العالم لا من هيولى موجودة فى صناعة النحل باتخاذها البيوت من الشمع وجمعها القوت من العسل من غير هيولى موجودة ، فان زعمت الانس انها تجمع ذلك من زهر النبات وورق الاشجار ، فلم لا يجمعون هم منها شيئاً مع علمهم وزعمهم بان لهم القدرة والفلسفة ؟ وان كانت تجمع من وجه الماء ومن جو الهواء ، فلم لا يرون منها شيئاً ولا يدرون كيف تجمع ذلك وتحمله وتميز وتبنى وتحرز ؟ وهكذا أرى الخالق قدرته بجبابرتهم الذين طغوا وبغوا بكثرة نعم الله لديهم مثل نمرود الجبار بأن قتله البق وهو اصغر دابة من الحشرات ، وهكذا ايضاً فرعون لما طغى وبغى على موسى ارسل عليه جنوداً من الجراد وأصغر من الجراد وهو القمل وقهره بها فلم يعتبر ولم ينزجر ، وهكذا لما جمع الله لسليمان الملك والنبوة وشدّد ملكه وسخر له الجن والانس وقهر ملوك الارض وغلبهم وشكت الانس والجن فى امره وظنت ان تلك بحيلة منه وقوة وحول له مع انه قد نفى هو ذلك عن نفسه بقوله « هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم اكفر » فلم ينفعهم قوله ولم يزل الشك من قلوبهم فى امره حتى بعث الله هذه الارضة فاكلت منسأته وخرّ على وجهه فى محرابه ولم يجسر على ذلك احد من الجن والانس هيبة منه واجلالاً حتى بيّن الله قدرته ليكون عظة لملوكهم الجبابرة الذين يفتخرون بكبر اجسامهم وعظم جثثهم وشدة صولتهم ، ثم مع هذه الحال كانا لا يتعظون ولا ينزجرون بل يلحدون ويرتدون ويفخرون دايما [illegible]

بايدى ضعفائنا والصغار من ابناء جنسنا ، وأما دود الدرة فهي اصغر حيوان البحر بنيةً واضعفها قوةً وألطفها جثةً واكثرها علماً ومعرفةً وذلك انها تكون فى قعر البحر مقبلة على شأنها فى طلب قوتها حتى اذا حان وقت من الزمان صعدت من قعر البحر الى ظهر سطح الماء فى يوم المطر فتفتح أذنين لها شبه السفطين فتقطر فيهما من مياه المطر حبات فاذا علمت بذلك ضمت تينك السفطين ضماً شديداً اشفاقاً ان يرشح فيهما من ماء البحر المالح ، ثم تنزل برفق الى قعر البحر كما كانت بديئاً وتمكث هناك منضمة الصدفين الى ان ينضج ذلك الماء وينعقد فيه الدر ، فأى عالم من علماء الانس يعمل مثل هذا ؛ أخبرونى ان كنتم عالمين . وقد جعل الله تعالى فى جبلة نفوس الانس محبة لبس الحرير والديباج والابريسم وما يتخذ منها من اللباس اللين الحسن الذى هو كله من لعاب هذه الدودة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس ، وجعل فى ذوقهم ألذ ما يا كلون العسل الذى هو بصاق هذا الحيوان الصغير الجثة الضعيف البنية الشريف النفس الحاذق فى الصنعة وهو النحل ، واحسن ما يوقدون فى مجالسهم الشمع الذى هو من بناء هذا الحيوان ومكسبه ، وجعل ايضاً افخر ما يتزينون به الدر الذى هو يخرج من جوف هذه الدودة الصغيرة الجثة الشريفة النفس ليكون دلالة على حكمة الصانع الحكيم الخبير ليزدادوا به معرفةً ولنعمائه شكراً وفى مصنوعاته فكرة واعتباراً ، ثم مع هذه كلها هم عنها معرضون غافلون ساهون لاهون طاغون باغون فى طغيانهم يعمهون ولانعامه كافرون ولآلائه جاحدون واصنعه منكرون وعلى خالقه زارون وعلى ضعفائه مفتخرون

متعدون جائرون ظالمون .

فلما فرغ الصرصر الذي هو زعيم الهوام من كلامه قال الملك : بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك . ومن فيلسوف ما احكمك . ومن خطيب ما ابلغك . ومن موحّد ما اعرفك بربك . ومن ذاكر شاكر لأنعامه ما افضلك .

ثم قال الملك للانسيّ : قد سمعتم ما قال وفهمتم ما اجاب ، فهل عندكم شيء آخر ؟ قال نعم لنا خصال أخر ومناقب تدل على اننا ارباب وهم عبيدٌ لنا . قال ما هي ؟ اذكرها . قال : وحدانية صورتنا وكثرة صورها واختلاف اشكالها لان الرئاسة والربوبية بالوحدة اشبه والعبودية بالكثرة اشبه . فقال الملك للجماعة : ما ذا ترون فيما قال وذكر ؟ فاطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال . ثم تكلم زعيم الطيور وهو الهزار فقال : صدق أيها الملك فيما قال ولكن نحن وان كانت صورنا مختلفة كثيرةً فنفوسنا واحدة وهؤلاء الانس وان كانت صورهم واحدة فان نفوسهم كثيرةٌ مختلفة . قال الملك : ما الدليل على ان نفوسهم كثيرة مختلفة ؟ قال كثرة آرائهم واختلاف مذاهبهم وفنون دياناتهم ، وذلك انك تجد فيهم اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعبدة الاصنام والنيران والشمس والقمر والكواكب والنجوم وغيرها ، وتجد ايضاً اهل الدين الواحد مختلفي المذاهب والآراء مثل الآراء المختلفة التي كانت في قدماء الحكماء ، ففي اليهود سامريٌّ وعنانيٌّ وجالوتيٌّ ، وفي النصارى نسطوريٌّ ويعقوبيٌّ وملكائيٌّ ، وفي المجوس زرادشتيٌّ وزررانيٌّ وخرميٌّ ومزدكيٌّ وبرهميٌّ ومانويٌّ ، وفي

ارباب النحل ديصانيٌ وسمنيٌ ، وفي اهل الاسلام خارجيٌ وناصبيٌ ورافضيٌ ومرجئٌ وقدريٌ وجهميٌ ومعتزليٌ واشعريٌ وشيعيٌ وسنّيٌ وغير هؤلاء من المشبهة والملحدين والمشككة في دين وانواع الكافرين ومن شاكل آراؤهم هذه الآراء والمذاهب الذين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ونحن من هذه كلها براء ومذهبنا واحد واعتقادنا واحد وكلنا موحدون مؤمنون مسلمون غير مشركين ولا منافقين ولا فاسقين ولا مرتابين ولا شاكين ولا متحيّرين ولا ضالين ولا مضلين نعوذ بربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا نسبّحه ونقدسه ونهلله ونكبره بكرةً وعشياً ، ولكن هؤلاء الانس لا يفقهون تسبيحنا .

فقال الزعيم الفارسيُ ونحن ايضاً هكذا نقول ربنا واحد وخالقنا واحد ورازقنا واحد ومحيينا ومميتنا واحد لا شريك له . فقال الملك : فلم تختلفون في الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد ؟ قال : لأن الديانات والآراء والمذاهب انما هي طرقات ومسالك ومجار ووسائط ووسائل والمقصود والمطلوب واحد من ايّ الجهات توجهنا فثمّ وجه الله . قال : فلم يقتل بعضكم بعضاً ان كان اهل الديانات كلهم قصدهم هو التوجه الى الله ؟ فقال المستبصر الفارسيُ : نعم أيها الملك ليس من اجل الدين لأن الدين لا اكراه فيه لكن من اجل سنة الدين الذى هو الملك . فقال كيف ذلك بيّنه . قال ان الدين والملك توأمان لا يفترقان ولا قوام لاحدهما الا باخيه . غير ان الدين هو الاخ المقدم والملك الاخ المؤخر المعقب فلا بد للملك من دين يتدين فيه الناس ولا بد للدين من ملك يأمر الناس باقامة سننه

طوعاً او قهراً فلهذه العلة يقتل اهل الديانات بعضهم بعضاً طلباً للملك والرئاسة كل واحد منهم يريد انقياد الناس اجمع لدينه ومذهبه واحكام شريعته وانا أخبر الملك وفقه الله لفهم الحقائق واذكره بشيء بيّن لا شك فيه . قال الملك ما ذاك ؛ قال ان قتل الانفس سنّة فى جميع الديانات والملل والدول كلها غير ان قتل النفس فى الدين هو ان يقتل طالب الدين نفسه وفى سنّة الملك هو ان يقتل طالب الملك غيره .

فقال الملك : اما قتل الملوك غيرهم فى طلب الملك فبيّن ظاهرٌ ، واما قتل طالب الدين نفسه فى سائر الديانات فكيف هو ؟ قال نعم ألا ترى أيها الملك فى سنّة دين الاسلام كيف هو ظاهرٌ بيّن وذلك قول الله عزّ وجل «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن » ثم قال : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » وقال : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » وقال فى سنّة التوراة : «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذالكم خير لكم عند بارئكم» وقال المسيح فى سنّة الانجيل: «من انصارى الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله . فقال لهم المسيح : استعدوا للموت والصلب ان كنتم تريدون ان تنصرونى فتكونون معى فى ملكوت السماء عند ابى وأبيكم والا فلستم فى شيء منى » فقتلوا ولم يرتدوا عن دين المسيح ، وهكذا يفعل البراهمة من اهل الهند يقتلون انفسهم ويحرقون اجسادهم طلباً للدين ويرون ويعتقدون ان اقرب قربات الى المولى عزّ وجل ان يقتل التائب جسده ويحرق بدنه ليكفر عنه

ذنوبه يقيناً منهم بالمعاد . وهكذا يفعل المتألهة من الحكماء والثنوية تمنع انفسها الشهوات وتحمل عليها ثقل العبادات حتى تقتلها او تخلصها من دار البلاء والهوان . وعلى هذا القياس يوجد حكم سنن الديانات فى قتل النفوس من فنون العبادات ، واحكام الشرائع كلها وضعت لخلاص النفوس وطلب النجاة من نار جهنم والفوز بالوصول الى نعيم الآخرة دار القرار . واخبرك أيها الملك وأذكر ان فى اهل الديانات والمذاهب الاخيار والأشرار ولكن شر الاشرار من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو ثواب الحسنات ولا يخاف مكافأة السيئات ولا يقرُّ بوحدانية الصانع البارئ الحكيم الخلاق الرزاق المحيي المميت المعيد الذى اليه المرجع والمصير .

فلما سكت الزعيم الفارسىُّ قام الزعيم الهندى وقال نحن بنو آدم اكثر الحيوانات عدداً وأجناساً وأنواعاً واشخاصاً وحصل لنا من تصاريف احوال الزمان وتغيرات الدول تجارب ومآرب وعجائب . قال الملك كيف ذلك ؟ بيّنه . قال لان الربع المسكون من الارض يحتوى على نحو من تسع عشرة الف مدينة مختلفة الامم الكثيرة العدد الذى لايحصى ولا يعد ، فمن الأمم التى لايحصى عددُها اهل الصين وأهل الهند واهل السند واهل الزنج واهل الحجاز واهل اليمن واهل الحبشة واهل النجد واهل بلاد نوبة وبلاد مصر وبلاد الصعيد وبلاد الاسكندرية واهل بلاد برْقةَ واهل القيروان واهل بلاد أفريقية واهل طنجة واهل بلاد برطانية واهل بلاد الجزائر الخالدات واهل بلاد الاندلس وبلاد الرومية وبلاد قسطنطينية وبلاد كله وبلاد البربر وبلاد ميا فارقين وبلاد برجان وبلاد أذربيجان وبلاد نصيبين وبلاد

ارمينية وبلاد الشام وبلاد الكرج واهل بلاد يونان وبلاد الدياران وبلاد العراق وبلاد ماهين وبلاد خوزستان وبلادالجبال وبلاد ختلان وبدخشان وديلمان وطبرستان وبلاد جرجان وبلاد جيلان وبلاد نيسابور وبلاد كرمان وكابلستان وملتان وبلاد سجستان وبلاد ماه واهل بلاد غوروسأدان وباميان وطخارستان وبلاد خراسان وبلاد بلخ واهل بلاد ما وراء النهر وبلاد خوارزم واهل بلاد جاج وفرغانة واهل بلاد كيمال وبلاد خاقان وبلاد اسبستان واهل بلاد فقرس وبلاد خرخير وبلاد تبّت واهل بلاد يأجوج ومأجوج وأهل الجزائر والجبال والفلوات والسواحل كل هذا سوى القرى والسوادات والاعراب والاكراد واهل البوادى والبرارى والجزائر والسواحل والفيافى والآجام وأهل بلادها كلها امم الانس من بني آدم مختلفة ألوانهم وألسنتهم واخلاقهم وطباعهم وآراؤهم ومذاهبهم وصنائعهم وسيرهم ودياناتهم لا يحصى عددهم الا الله عز وجل الذى خلقهم وأنشأهم ورزقهم يعلم اسرارهم ومستقرهم ومستودعهم « كلٌّ فى كتاب مبين » فكثرة عددهم واختلاف احوالهم وفنون تصاريف امورهم وعجائب مآربهم تدل على انهم افضل من غيرهم واكرم ممن سواهم من اجناس الخلائق التى فى الارض من الحيوانات جميعاً وانهم ارباب والحيوانات جميعاً عبيدٌ لهم ومماليك ، ولنا فضائل اخر ومناقب شتى يطول شرحها . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

فلما فرغ الانسى من كلامه نطق عند ذلك الضفدع فقال : الحمد لله الكبير المتعالى العلي القهار العزيز الجبار خالق الانهار الجارية العذبة المياه

والبحار الزاخرة المرة المالحة البعيدة القعور الواسعة الاقطار ذوات الامواج والهيجان معدن الدر والمرجان الذى خلق فى أعماق قرارها المظلمة وامواجها المتلاطمة اصناف الخلائق ذوات الفنون والطرائق فمنها ذوات الجثث العظام والهيا كل الجسام قد ألبس بعضها الجلود الثخان والفلوس المنضدة الصلاب الاصداف المجعدة الزلاف ومنها كثيرة الارجل الدبابة ومنها ذوات الاجنحة الطيارة ومنها ذوات البطون الخمص المنسابة ومنها ذوات الرؤوس الكبار والافواه المتفتحة والعيون البارقة والاشداق الواسعة والاسنان القاطعة والمخالب الحداد والاجواف الرحيبة والاذناب الطويلة والحركات الخفيفة والسباحة السريعة ، ومنها صغار الجثث ملس الجلد بلا آلة وأدوات قليلة الحس والحركات ، كل ذلك لاسباب وعلل لا يعرف ولا يعلم كنه معرفتها الا الذى خلقها وصوّرها وأنشأها ورزقها واكملها وأبلغها الى اقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين لا لمخافة غلط او لاحتراز من نسيان لكن لوضوح وبيان .

ثم قال الضفدع : قد ذكر هذا الانسى ايها الملك السعيد اصناف بنى آدم وعدد طبقاتهم ومراتبهم وافتخر بها على الحيوانات فلو انه رأى اجناس حيوانات الماء وشاهد صور انواعها وغرائب اشكالها واشخاصها وظرائف فنون هيا كلها لعاين العجائب وصغر فى عينه ما ذكر من كثرة اصناف بنى آدم والأمم الكثيرة التى ذكر انها فى المدن والقرى والبرارى والبلدان ، وذلك ان فى الربع المسكون من الارض نحواً من اربعة عشر بحراً كباراً منها بحر الروم وبحر جرجان وبحر كيلان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر

الهند وبحر السند وبحر الصين وبحر يأجوج والبحر الاخضر وبحر الغربى وبحر الشمال وبحر الحبشة وبحر الجنوب وبحر الشرقي وفى هذا الربع المسكون ايضاً نحو من خمسمائة نهر صغير ونحو من مائتى نهر طويل مثل جيحون ودجلة والفرات ونيل مصر ونهر الكرّ والرسّ بأذربيجان وهار مند بسجستان وما شاكل هذه الانهار طول كل واحد منها من مائة فرسخ الى الف فرسخ . واما الآجام والغدران والبطائح والانهار الصغار والسواقى فهى مما لا يعد ولا يحصى : وفى كل هذه من اجناس السموك والسرطانات والكراريك والسلاحف والتنانين والكواسج والدلافين والتماسيح وانواع اخر ما لا يعد ولا يحصى ولا يعلمها الا خالق الكل وقد قيل انها سبع مائة صورة جنسية سوى انواعها واشخاصها . وفى البر نحو من خمسمائة صورة جنسية سوى نوعية وشخصية من اجناس الوحوش والسباع والبهائم والانعام والحشرات والهوام والطيور والجوارح وغيرها من الطيور الانيسة وكل هذه عبيد الله ومماليك له خلقهم بقدرته وصورهم بعلمه وأنشأهم ورباهم ورزقهم ويحفظهم ويرعاهم ولا يخفى عليه خافية من امورهم يعلم مستقرهم ومستودعهم كل فى كتاب مبين . ثم قال الضفدع : فلو تأملت واعتبرت ايها الانسى فيما ذكرت لك لعلمت وتبين لك ان افتخارك بكثرة بنى آدم وعدد صنوفهم وطبقاتهم لا يدل على انهم ارباب وغيرهم عبيد لهم ألبتة .

ولما فرغ الضفدع من كلامه قال حكيم من الجن : ذهب عنكم يامعشر بنى آدم ويا معشر الحيوانات الارضيه ذوى الاجسام الثقيلة والجثث

الغليظة والاجرام ذوات الابعاد الثلاثة من ساكنى البر والبحر والجبل ، وخفى عنكم معرفة كثرة الخلائق الروحانية والصور النورانية والارواح الخفيفة والاشباح اللطيفة والنفوس البسيطة والصور المفارقة التى مسكنها فى فسحة اطباق السموات وسريانها فى فضاء سعة عالم الارواح والافلاك من اصناف الملائكة الروحانيين والكروبيين وحملة العرش اجمعين . وما فى سعة كرة الأثير من الارواح النارية وما فى سعة كرة الزمهرير من قبائل الجنّ واحزاب الشياطين وجنود ابليس اجمعين . فلو انكم يامعشر الانس ومعشر الحيوانات عرفتم كثرة اجناس هذه الخلائق التى ليست باجسام ذوات اركان ولا باجرام ذوات ابعاد وعلمتم كثرة انواعها وضروب صورها وعدد اشكال اشخاصها لصغر فى عينكم كثرة اجناس الحيوانات الجسمانية والانواع الجرمانية والاشخاص الجزئية وذلك ان مساحة كرة الزمهرير تزيد على مساحة سعة البر والبحر اكثر من عشرة اضعاف ، وهكذا سعة كرة الاثير تزيد على سعة كرة الزمهرير اكثر من عشرة اضعاف ، وهكذا سعة كرة فلك القمر تزيد على سعة كرة الجميع عشرة اضعاف ، وهكذا نسبة فلك عطارد الى فلك القمر وعلى هذا المثال حكم سائر الافلاك المحيط بعضها ببعض الى اعلى الفلك المحيط وكلها ممتلئ فضاؤها وفسحات سعتها من الخلائق الروحانية حتى انه ليس فيها موضع شبرٍ الا وهناك جنس من الخلائق الروحانية كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن قوله تعالى : « وما يعلم جنود ربك الا هو » فقال عليه وعلى آله السلام ما فى السموات السبع موضع شبر الا وهناك ملك قائم او راكع او ساجد لله تعالى . ثم قال الحكيم : فلو

تفكرتم معشر الانس ومعشر الحيوانات فيما ذكرت لعلمتم بانكم اقل الخلائق عدداً ودونها مرتبةً ومنزلةً ، وافتخارك أيها الانسيُّ بالكثرة ليست بدليل على انكم ارباب وغيركم عبيدٌ لكم بل كانا عبيد الله تعالى وجنوده ورعيته وسخر بعضنا لبعض كما اقتضت حكمته واوجبت ربوبيته فله الحمد على ذلك وعلى سابغ نعمه كثيراً .

ولما فرغ حكيم الجن من كلامه قال الملك : قد سمعنا ما ذكرتم معشر الانس وافتخرتم به وقد سمعتم الجواب فهل عندكم شيءٌ آخر غير ما ذكرتم ؟ هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين واوردوه وبيّنوه . فقام عند ذلك الخطيب الحجازيُّ المكيُّ المدنيُّ فقال : نعم أيها الملك لنا فضائل أخر ومناقب حسان تدل على انا ارباب وهذه الحيوانات عبيدٌ لنا ونحن ملاّكها ومواليها . قال الملك : ما هي ؟ قال مواعيد ربنا لنا بالبعث والنشور والخروج من القبور وحساب يوم الدين والجواز على الصراط المستقيم ودخول الجنان من بين سائر الحيوانات وهي الفردوس وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة عدن وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار ودار المقامة ودار المتقين وشجرة طوبى وعين السلسبيل وانهار من خمر وعسل ولبن وماء غير آسن وبالدرجات في القصور وتزويج الحور العين ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام والتنسم من الرَّوح والريحان كلها مذكورة في القرآن في نحو من سبعمائة آية وكل ذلك بمعزل عنه هذه الحيوانات ، وهذا دليل بانا ارباب وهؤلاء عبيدٌ لنا ، ولنا مناقب أخر غير ما ذكرنا . اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

فقام عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزاردستان فقال : نعم ان القول كما قلت أيها الانسيّ ولكن أذكر ايضاً ما أوعدتم به معشر الانس من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وأهوال يوم القيامة وشدّة الحساب والوعيد بدخول النيران وعذاب جهنم والجحيم والسعير ولظى وسقر والحطمة والهاوية وسرابيل من قطران وشرب الصديد والغساق وأكل شجرة الزقوم ومجاورة مالك الغضبان سادن النيران وجوار الشياطين وجنود ابليس اجمعين وما هو مذكور فى القرآن الى جنب كل آية من الوعد آية من الوعيد ، كل ذلك لكم دوننا ونحن بمعزلٍ عن جميع ذلك كما لم نوعد بالثواب لم نوعد بالعقاب وقد رضينا بحكم ربنا لا انا ولا علينا ، وكما رفع عنا حسن الوعد صرف عنا خوف الوعيد وتكافأت الادلة بيننا واستوت الاقدام فما لكم والافتخار ؟ فقال الحجازيّ : وكيف تساوت الاقدام بيننا وبينكم فنحن على أى حال كانت باقون أبد الآبدين ودهر الداهرين ان كنا مطيعين فنكون مع الانبياء والأئمة والاولياء والسعداء والحكماء والاخيار والفضلاء والابرار والزهّاد والعبّاد والصالحين والعارفين والمستبصرين وأولى الابصار وأولى الحجى وأولى النهى والمصطفين والاخيار الذين هم بالملائكة يتشبهون والى الخيرات يتسابقون والى لقاء ربهم يشتاقون وفى جميع أوقاتهم وأحوالهم عليه مقبلون ومنه يسمعون واليه ينظرون وفى عظمته وجلاله يتفكرون وفى جميع أمورهم عليه يتوكلون وايّاه يسألون ومنه يطلبون وايّاه يرجون وهم من خشيته مشفقون ، ولو كنا مردودين نتخلص بشفاعة الانبياء عليهم السلام خصوصاً بشفاعة سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك نكون باقين فى الجنة مع الحور والغلمان تخاطبنا الملائكة بقولهم « سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين » وانتم يا معشر الحيوانات بمعزلٍ عن جميع ذلك لانكم بعد المفارقة لا تبقون .

فقال زعماء الحيوانات حينئذٍ وحكماء الجن باجمعهم : يا معشر الانس الآن جئتم بالحق ونطقتم بالصواب وقلتم الصدق ، لان بامثال ما ذكرتم يفتخر المفتخرون وبمثل أعمالهم فليعمل العاملون وفى مثل سيَرهم واخلاقهم وآدابهم والعلوم المتفننة لهم يرغب الراغبون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . ولكن خبروا يا معشر الانس عن أوصافهم وبينوا لنا سيرتهم وعرفونا طرائق معارفهم ومحاسن اخلاقهم وصالح اعمالهم ان كنتم تعلمون واذكروها ان كنتم بها عارفين — فسكت الجماعة حينئذٍ ساعةً يتفكّرون فيما سألوا عنهم فلم يكن عند احدٍ جواب .

فقام عند ذلك الخبير الفاضل الذكيُّ العابد المستبصر الفارسىُّ النسبة العربيُّ الدين الحنفيُّ الاسلام العراقيُّ الأدب العبرانيُّ المخبر المسيحيُّ المنهاج الشاميُّ النسك اليونانيُّ العلوم الهنديُّ التعبير الصوفيُّ الاشارات الملكيُّ الاخلاق الربانيُّ الرأى الالهيُّ المعارف فقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى الله على النبيّ محمد وآله أجمعين . أما بعد أيها الملك العادل لما بان وتبيَّن فى حضورك صدق ما ادعى جماعة الانس وظهر عندك ان من هؤلاء الجماعة قوماً هم اولياء الله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته وان لهم اوصافاً حميدة وصفات جميلة وأعمالاً زكية وعلوماً متفننة ومعارف ربانية وأخلاقاً ملكية

وسيَراً عادلةً قدسية وأحوالاً عجيبة قد كلّت ألسنة الناطقين عن ذكرها وقصرت أوصاف الواصفين لها عن كنه صفاتها واكثر الذاكرون فى وصفهم وطوّل الواعظون الخطب فى مجالس الذكر عن بيان طريقهم ومحاسن سيَرهم ومكارم اخلاقهم طول ازمانهم ودهورهم ولم يبلغوا كنه معرفتها ، فما يأمر الملك العادل فى حق هؤلاء الغرباء من الانس وهؤلاء الحيوانات العبيد لهم ؟ فأمر الملك ان تكون الحيوانات بأجمعها تحت اوامرهم ونواهيهم ويكونوا منقادين للانس ، فقبلوا مقالته ورضوا بذلك وانصرفوا آمنين فى حفظ الله تعالى وأمانه .

وانت يا اخى فاعلم علم اليقين بان تلك الاوصاف التى غلبت الانس على طبقات الحيوانات بحضور ملك الجن هى التحقق بالعلوم والمعارف التى اوردناها فى احدى وخمسين رسالة بأوجز ما يمكن واقرب ما يكون وهذه الرسالة واحدة منها . ونحن قد بينا فى هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب على لسان الحيوانات فلا تظنّن بنا ظن السوء ولا تعدّ مقالتنا ملعبة الصبيان ومخرقة الاخوان لان عادتنا جارية على انا نبيّن الحقائق بألفاظ وعبارات على وجه الاشارات وتشبيهات على لسان الحيوانات ومع هذا لا نخرج عما نحن فيه عسى ان يتأمل المتأمل فى هذه الرسالة ويتنبه من نوم الغفلة ويتعظ من مواعظ الحيوانات وخطبهم ويتأمل كلامهم واشاراتهم لعله يفوز بالموعظة الحسنة ، وفقكم الله أيها الاخوان لاستماعها وفهم معانيها وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونوّر ابصاركم بمعرفة اسرارها ويسّر لكم العمل كما فعل باوليائه وأصفيائه وأهل طاعته انه على ما يشاء قدير وهو حسبنا ونعم النصير .

الخاتمة

ينبغى ان نبين كيف يكون توصل اخوان الصفاء ، وكيف يكون تعاوُن بعضهم بعضاً فى طلب معيشة الدنيا وماذا ترى حالَ من سبقته المنية قبل صاحبه ، وكيف يكون عيش الباقى منهم بعد صاحبه .

ذُكِرَ ان مدينة كانت على رأس جبل فى جزيرة من جزائر البحر خصيبة كثيرة النعم رحبة الباب طيبة الهواء عذبة المياه جيدة التربة حسنة البركة كثيرة الاشجار اللذيذة الثمار كثيرة اجناس الحيوانات على حسب ما تقتضى تربة تلك الجزيرة وأهويتها وماهياتها ، وكان اهلها اخوةً وبنى أعمام بعضهم لبعض من نسل رجل واحد وكان عيشهم اهنأ عيش بتأكد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تباغض ولا حسد ولا بغى ولا عداوة من انواع الشرور مما يكون بين اهل المدن الجبابرة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المتشتتة الآراء القبيحة الافعال السيئة الاخلاق . ثم ان طائفة من اهل تلك المدينة المذكورة ركبوا البحر وكسر بهم المركب ورمى بهم الموج الى جزيرة اخرى فيها جبال واشجار عالية عليها ثمار غير نزهة وفيها عيون غائرة مياهها كدرة وفيها مغاراتٌ مظلمة وفيها سباع ضارية

واذا عامة اهلها قردة . وكان فى بعض جزائر ذلك البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة فتسلط عليها فى كل يوم وليلة يكرُّ عليهم يختطف من تلك القردة والسباع . ثم ان هؤلاء الذين نجوا من الغرق تفرقوا الى تلك الجزيرة فى اودية تلك الجبال يطلبون ما يتقوّتون به من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويستترون باوراق تلك الاشجار ويأوون بالليل الى تلك الكهوف والمغارات ويعتصمون بها من الحر والبرد .

وأنست بهم تلك القرود وأنسوا بها اذ كانت أقرب اجناس السباع شبهاً بصورة الناس . وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بتلك الجبال وألفوها ونسوا بلدتهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بدءًا . ثم جعلوا يبنون من حجارة تلك الجبال بنياناً ويتخذون منازل ويحرزون فيها تلك الثمار ويدّخرها من كان فيه شره . وصاروا يتنافسون على اناث تلك القردة ويغتبطون اكثر حظ من تلك الحالات وتمنوا الخلود هناك ونصبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحروب . ثم ان رجلاً منهم رأى فيما يرى النائم كأنه رجع الى بلده التى خرج منها وأن اهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله اقرباؤه خارج المدينة فرأوه قد غيَّره السفر والغربة فكرهوا ان يدخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصُّوا اظفاره وألبسوه جديد الثياب وبخَّروه وزينوه واركبوه دابة وادخلوه المدينة فلما رآه اهل المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن اصحابه وسفرهم وما فعل الدهر بهم واجلسوه فى صدر المجلس فى المدينة واجتمعوا حوله يتعجبون منه ومن

رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم مسرور بما قد نجاه الله من تلك الغربة وذلك الغرق ومن صحبة اولئك القردة وتلك العيشة النكدة وهو يظن أن ذلك يراه فى اليقظة ، فلما انتبه اذا هو فى تلك الجزيرة بذلك المكان بين ظهرانى أولئك القردة فأصبح حزيناً منكسر البال زاهداً فى ذلك المكان مغتماً متفكراً راغباً فى الرجوع الى بلده ، فقص رؤياه على أخ له فتذكر الاخ ما أنساه الدهر من حال بلدهِ وأقاربهِ وأهله والنعيم الذى كانوا فيه ، فتشاورا فيما بينهما ، وأجالا الرأى وقالا : كيف السبيل الى الرجوع ؟ وكيف النجاة الى هناك ؟ فوقع فى فكرهما وجه الحيلة بأن يتعاونا ويجتمعا ويجمعا خشب تلك الجزيرة ويبنيا مركباً فى البحر ليرجعا فيه الى بلدهما ، فتعاقدا على ذلك عهداً وميثاقاً ان لا يتخاذلا ولا يتكاسلا بل يجتهدا اجتهاد رجل واحد فيما عزما عليه . ثم ذكرا أنه لو كان معهما آخر لكان أعون لهما على ذلك وكلما زاد فى عددهما كان أبلغ فى الوصول الى مطلبهما ، والرجوع الى مقصدهما ، فجعلا يذكران اخوانهما من بلدهما ، ويرغبانهم فى العود الى أوطانهم ويزهدانهم فى المكث هناك حتى التأم جماعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة ليركبوها ويرجعوا الى بلدهم .

فبينما هم يبدأون فى قطع الاشجار ونشر الخشب لصناعة المركب اذ جاء ذلك الطير الذى كان يختطف القرود فاختطف منهم رجلاً وطار به فى الهواء فلما أمعن فى طيرانه تأمل ما معه فاذا هو ليس من القرود الذى كان يختطفهم على عادته فما زال به حتى مر على رأس مدينته التى خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه فتأمل الرجل موضعه فاذا مدينته وأهله

وأقاربه ، فجعل يتمنى لو أن ذلك الطائر يمرّ في كل يوم ويختطف منهم واحداً ويلقيه في بلده كما فعل به . وأما أولئك القوم الذين اختطف هو من بينهم فجعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه اذ كانوا لا يدرون ما فعل الطير به وما حاله وما أصابه وما صار اليه ، ولو علموا لكانوا يتمنون ما تمنى لهم . فهكذا ينبغي ان يكون اعتقاد اخوان الصفاء فيمن سبقته المنيّة قبل صاحبه لان الدنيا شبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون القرود ومثل الموت كمثل الطائر ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسر بهم المركب ، ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها ، فهذا اعتقاد اخواننا في تعاونهم وما يعتقدون فيمن سبقت اليه المنيّة قبل اخوانه .

قد تمّ بعون الله تعالى طبع « تداعي الحيوانات على الانسان »
وهي احدى رسائل اخوان الصفاء بمطبعة الترقي بمصر
« سنه ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م »